و تحبيره ليثبتوا به براعتهم و تفوقهم و يصلوا به إلى أغراضهم ، و يستمر ذلك و يستفحل حتى يصبح الأدب مقصورا عليهم مختصا بهم ، و يأتى على الناس زمان لا يفهم من كلمة « الأدب » إلا ما أثر عن هذه الطبقة من كلام مصنوع و أدب تقليدى لا قوة فيه و لا روح ، و لا جدة فيه و لا طرافة ، و لا متعة فيه و لا لذة .

و يطغى هذا الأدب الصناعى التقليدى على كل ما يؤثر عن هذه الأمة ، و تحتوى عليه مكتبتها الغنية الزاخرة من أدب طبعى و كلام مرسل ، وتعبير بليغ يحرك النفوس و يثير الاعجاب ، و يوسع آفاق الفكر ، و يغرى بالتقليد ، و يبعث فى النفس الثقة ، و لا عيب فيه إلا أنه صدر عن رجال لم ينقطعوا إلى الأدب و الانشاء و لم يتخذوه حرفة و مكسبا ، و لم يشتهروا بالصناعة الأدبية ، و لم يكن لهذا النتاج الأدبى الجميل الرائع عنوان أدبى ، و لم يكن فى سياق أدبى ، و إنما جاء فى بحث دينى ، أو كتاب علمى ، أو موضوع فلسفى أو اجتماعى ، فبقى مغمورا مطمورا فى الأدب الدينى ، أو الكتب العلمية ، و لم يشأ الأدب الصناعى — بكبريائه — أن يفسح له فى مجلسه و لم ينتبه له مؤرخو الأدب — بضيق تفكيرهم و قصور نظرهم — فينوهوا به و يعطوه مكانه اللائق به .

إن هذا الأدب الطبيعى الجميل القوى كثير و قديم فى المكتبة العربية ، بل هو أكبر سنا و أسبق زمنا من الأدب الصناعى ، فقد دون هذا الأدب فى كتب الحديث و السيرة قبل أن يدون الأدب الصناعى فى كتب الرسائل و المقامات ، و لكنه لم يحظ من دراسة الأدباء و الباحثين و عنايتهم ما حظى به الأدب الصناعى مع أنه هو الأدب الذى تجلت فيه عبقرية اللغة

العربية

العربية و أسرارها و براعة أهل اللغة و لياقتهم ، و هو مدرسة الأدب الأصيلة الأولى .

و نأخذ كتب الحديث و السيرة — كمثال لهذا الأدب الطبعى — أولا فنقول : إنها اشتملت على معجزات بيانية و قطع أدبية ساحرة ، تخلو منها مكتبة الأدب العربى — على سعتها و غناها — و هو دليل على صحة هذه اللغة و مرونتها ، و اقتدارها على التعبير الدقيق عن خواطر و مشاعر و وجدانات و كيفيات نفسية عميقة دقيقة ، و وصف بليغ مصور للحوادث الصغيرة ، و هى الكتب التى حفظت لنا مناهج كلام العرب الأولين و أساليب بيانهم ، و لئن صح ما قاله الرقاشى : «إن ما تكلمت به العرب من جيد المنثور ، أكثر مما تكلمت به من جيد المنظوم ، فلم يحفظ من المنثور عشره ، و لا ضاع من الموزون عشره» فكتب الحديث النبوى تسد هذا الفراغ الواقع فى تاريخ الأدب العربى تنقل إلينا هذا الذخر الأدبى الذى اعتقد أنه قد ضاع و تمتاز أنها قد اتصل سندها و صحت روايتها فهى أوثق مصدر للغة العربية البليغة التى كانت سائدة فى عهدها الذهبى الأول و للأدب العربى الذى كان منتشرا فى جزيرة العرب .

إن هذه الكتب تشتمل على روايات قصيرة و طويلة وكلها أمثلة جميلة للغة العرب العرباء التى كانوا يتكلمون بها و يعبرون فيها عن ضمائرهم و خواطرهم ، و يجد دارس الأدب العربى فيها من البلاغة العربية ، و القدرة البيانية ، و الوصف الدقيق ، و التعبير الرقيق ، و من عدم التكلف و الصناعة ما يقف أمامه خاشعا معترفا للرواة بالبلاغة و التحرى فى صحة النقل و الرواية ، و للغة العربية بالسعة و الجمال .

أما الروايات الطويلة فهى ثروة أدبية ذات قيمة فنية عظيمة و هى التى
تجلت فيها بلاغة الراوى العربى و اقتداره على الوصف و التعبير و التصوير ،
و هى التى يطول فيها نفسه فيحكى حكاية يعبر فيها عن معان كثيرة و أحاسيس
دقيقة ، و مناظر متنوعة ، فلا يخذله اللسان و لا يخونه البيان و لا يتخلف
عنه مدد اللغة ، و كأنها لوحة فنية منسجمة متناسقة قد أبدع فيها الفنان،
أو صورة متناسبة قد أحسن فيها المصور كل الاحسان .

إقرأ معى حديث كعب بن مالك عن تخلفه عن غزوة تبوك[1] و هو
موضوع دقيق محرج ، يطلب منه الصراحة و الاعتراف بالتقصير ، و الشهادة
على النفس ، و يطلب منه تصوير ذلك الجو القاتم العابس الذى عاش فيه
خمسين ليلة ، و يطلب منه تصوير الخواطر التى كانت تجيش فى صدره
و تساور نفسه و هو يعيش فى جفاء و عتاب ممن يحبهم و تربطه بهم العقيدة
و العاطفة ، لا يجد لذة فى فراقهم و لا يرى فى الدنيا عوضا عنهم ، و تصوير
تلك الصلة الروحية و الحب العميق الذى يربطه بالنبى صلى الله عليه و سلم
ربطا وثيقا محكما ، لا يحله العتاب و العقاب ، و لا يضعفه إقبال الملوك
عليه و توددهم إليه ، و تصوير ذلك السرور الذى غمره على إثر قبول توبته،
ما أصعب هذا الموضوع ، و ما أكثره تعقدا و دقة ، و لكنه ببلاغته العربية
يتغلب على هذه المشاكل النفسية و الأدبية ، و يترك لنا ثروة نعتز بها .

إقرأ معى هذه القطعة الصغيرة التى أقتبسها من حديثه الطويل ،
و هو يحكى ما أحاط بهذه الغزوة العظيمة من ظروف و أجواء ، و يصور
تلك الحالة النفسية التى تخلف فيها عن هذه الغزوة و ما انتابه من التردد ،

(1) سبق هذا الحديث فى الجزء الأول من الكتاب .

و لم يكن التخلف عن الغزوات من سيرته و عادته ، و تمتع بما احتوت عليه هذه القطعة من القوة و الجمال ، و صدق التصوير و براعة التعبير :

« و غزا رسول الله صلى الله عليه و سلم تلك الغزوة حين طابت الثمار و الظلال ، و تجهز رسول الله صلى الله عليه و سلم و المسلمون معه ، فطفقت أغدو لكى أتجهز معهم فأرجع و لم أقض شيئا ، فأقول فى نفسى و أنا قادر عليه فلم يزل يتمادى بى حتى اشتد الجد . فأصبح رسول الله صلى الله عليه و سلم و المسلمون معه و لم أقض من جهازى شيئا ، فقلت أتجهز بعده بيوم أو يومين ، ثم ألحقهم فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز فرجعت و لم أقض شيئا ، ثم غدوت فرجعت و لم أقض شيئا ، فلم يزل بى حتى أسرعوا و تفارط الغزو ، و هممت أن أرتحل فأدركهم ، و ليتنى فعلت ! فلم يقدر لى ذلك . فكنت إذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه و سلم فطفت فيهم أحزننى أنى لا أرى إلا رجلا مغموصا عليه النفاق أو رجلا ممن عذره الله من الضعفاء » .

ثم انظر كيف يصور حالته و قد هجره المسلمون و نهوا عن كلامه ، و كيف يعبر عن حالة المحب الذى هجره الحبيب — عقوبة و تأديبا — و هو يطمع فى وده و يتسلى بنظراته و الذى لم يزده هذا العتاب إلا رسوخا فى المحبة و لوعة و جوى ، دعه يقص قصته بلسانه البليغ :

« و نهى رسول الله صلى الله عليه و سلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه ، فاجتنبنا الناس و تغيروا لنا حتى تنكرت فى نفسى الأرض فما هى التى أعرف . فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباى فاستكانا و قعدا فى بيوتهما يبكيان ، و أما أنا فكنت أشب القوم و أجلدهم

فكنت أخرج و أشهد الصلاة مع المسلمين و أطوف فى الأسواق ، و لا يكلمنى أحد ، و آتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأسلم عليه و هو فى مجلسه بعد الصلاة فأقول فى نفسى هل حرك شفتيه برد السلام أم لا ؟ ثم أصلى قريبا منه فأسارقه النظر فاذا أقبلت على صلاتى أقبل إلىّ ، و إذا ألتفت نحوه أعرض عنى ، حتى إذا طال على ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة و هو ابن عمى و أحب الناس إلىّ ، فسلمت عليه فوالله ما رد علىّ السلام ، فقلت : يا أبا قتادة ! أنشدك بالله! هل تعلمنى أحب الله و رسوله ؟ فسكت ، فعدت له فنشدته فسكت ، فعدت له فنشدته فقال : الله و رسوله أعلم ، ففاضت عيناى و توليت حتى تسورت الجدار » .

و اقرأ معى كذلك حديث الافك[1] الذى ظهرت فيه براعة السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها الأدبية و قوتها البيانية ، و حسن تصويرها و وصفها للعواطف و المشاعر النسوية اللطيفة الدقيقة ، و قد تجلت فى هذه القطعة رقة عاطفة المرأة المحبة لزوجها ، مع إباء الحرة الواثقة بعفافها و طهارتها ، المؤمنة بربها ، و قد أضفى هذا المزيج الغريب من الرقة و الشدة ، و العاطفة و العقل . زد إلى ذلك بيان عائشة التى تقلبت فى أعطاف البلاغة العربية و انتقلت فيها من بيت إلى بيت ، قد أضفى كل ذلك على هذه الرواية من الجمال الفنى ما يجعلها من القطع الأدبية الخالدة فى الأدب .

انظر كيف تصف ما تقوله الناس و تحدثوا به و ما شعرت به من تغير فى وجه الرسول صلى الله عليه و سلم ، تذكر كل ذلك فى حياء المرأة و أدبها من غير إبهام أو عى :

---

(١) سبق هذا الحديث فى الجزء الأول من الكتاب .

«قالت عائشة : فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرا و الناس يفيضون فى أصحاب الافك لا أشعر بشيء من ذلك ، و هو يريبنى فى وجعى إنى لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه و سلم اللطف الذى كنت أرى منه حين أشتكى . إنما يدخل علىّ رسول الله صلى الله عليه و سلم فيسلم ثم يقول كيف تيكم ؟ ثم ينصرف فذلك الذى يريبنى ، و لا أشعر بالشر» .

و تذكر توجعها من الخبر المشاع فتقول : «فبكيت يومى ذلك كله، لا يرقأ لى دمع و لا أكتحل بنوم ، قالت : و أصبح أبواى عندى ، و قد بكيت ليلتين و يوما لا أكتحل بنوم و لا يرقأ لى دمع حتى أنى لأظن أن البكاء فالق كبدى» .

و تتقدم فى الحكاية و تذكر كيف يسألها رسول الله صلى الله عليه و سلم عما قيل عنها و يعزم عليها الصدق ، فلا تلبث أن تعتريها حمية المرأة العفيفة الفاضلة ، و يقلص دمعها حتى لا تحس منها بقطرة ، و ترجو أباها و أمها أن يجيبا عنها رسول الله صلى الله عليه و سلم فيمتنعان و يفضلان السكوت حياءا من رسول الله صلى الله عليه و سلم و استحياءا من الدفاع عن قضية بنتهما و هو الدفاع عن النفس ، فتنبرى للكلام القوى الصريح المبين — و هى البليغة الأديبة — و تتمثل بقول سيدنا يعقوب و تفوض أمرها إلى الله . و تنزل براءتها من السماء فتطلب منها أمها أن تشكر رسول الله صلى الله عليه و سلم و تقوم إليه فتأبى — فى دلال العفائف و أنفة المؤمن — أن تحمد إلا الله الذى أنزل براءتها من فوق سبع سموات ، و خلد طهارتها إلى آخر يوم يقرأ فيه القرآن و يؤمن به .

و اقرأ كذلك حكايتها للهجرة النبوية[١] و ذكرها لتفاصيلها و ما وقع لرسول الله صلى الله عليه و سلم و صاحبه رضى الله عنه فى الطريق ، و وصولهما إلى المدينة ، و كيف تلقاهما الأنصار ، و فرحوا بقدوم رسول الله صلى الله عليه و سلم و كل ذلك مثال رائع للوصف الدقيق البليغ ، و البيان القادر الوصاف .

و هنالك روايات أخرى طويلة النفس ، ضافية البيان ، تشتمل على غرر الكلام و بدائعه الحسان و مناهج العرب الأولين فى كلامهم ، كحديث صلح الحديبية[٢] و حديث الايلاء[٣] و غير ذلك ، كانت تستحق أن تكون فى المكانة الأولى فى دراساتنا الأدبية ، و لكنها أفلتت من نظر المؤلفين و الناقدين ، لأنها لم تدخل فى دواوين الأدب ، و لأن تصورهم للأدب كان تصورا محدودا جامدا لا يعدو الصناعة .

و يلى الحديث كتب السيرة ، فقد حفظت لنا جزءا كبيرا من كلام العرب الأقحاح ، و مثلت تلك اللغة البليغة التى كانت فى عصور العربية الأولى و هذبها الاسلام و رققها و اشتملت على قطع أدبية لا يوجد لها نظير فى المكتبة العربية المتأخرة .

اقرأ فى سيرة ابن هشام حديث حليمة ابنة أبى ذويب السعدية عن رضاعة رسول الله صلى الله عليه و سلم[٤] و اقرأ فيها قصص الاضطهاد و التعذيب ، و اقرأ فيها مغازى رسول الله صلى الله عليه و سلم و حروبه و اقرأ فى كتب الحديث و الشمائل و فى كتب التاريخ و السير أحاديث الوصف و الحلية[٥]

---

(١) تقدم هذا الحديث فى الجزء الأول (٢) يجىء هذا الحديث بطوله فى هذا الجزء من الكتاب (٣) اقرأه فى الجامع الصحيح للبخارى (٤) تقدم هذا الحديث فى الجزء الأول من الكتاب فى « بنى سعد » (٥) جاء بعض أمثلتها فى هذا الجزء .

تجد من القدرة الفائقة على الوصف و التعبير و البيان الساحر لدقائق الحياة و خوالج النفس و تر من اللغة النقية الصافية و اللفظ الخفيف و التعبير الدقيق الرقيق ما يطربك و يملؤك سرورا و لذة و ثقة و إيمانا بعبقرية هذه اللغة، و رغبة فى دراستها و التوسع فيها .

و هكذا صان الله هذه اللغة الكريمة الأمينة للقرآن من الضياع و انتقلت ثروتها من جيل إلى جيل و من كتاب إلى كتاب، حتى جاء دور التأليف و التاريخ فى القرن الثالث و الرابع، و حفظ لنا المؤرخون أمثال الطبرى و المسعودى، و الأدباء أمثال الجاحظ و ابن قتيبة و أبى الفرج الأصبهانى ثروة زاخرة من الأدب فى كتبهم و حفظوا لنا تلك اللغة العذبة البليغة التى كان العرب الصرحاء يتكلمون بها فى بيوتهم و على موائدهم و فى مجالس انبساطهم، و جاء منها الشيء الكثير فى كتاب البخلاء للجاحظ و كتاب الامامة و السياسة لابن قتيبة و كتاب الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى (على ضألة قيمة الكتابين الاخيرين التاريخية) و هذه كتب التاريخ و الأدب التى تمثل لنا العربية فى جمالها الأول و نقائها الأصيل و سمتها النادرة .

ثم جاء دور المتكلفين المقلدين للعجم، و نبغ فى العواصم العربية أمثال أبى اسحاق الصابى و أبى الفضل ابن العميد و الصاحب بن عباد، و أبى بكر الخوارزمى، و بديع الزمان الهمدانى و أبى العلاء المعرى، و اخترعوا أسلوبا للكتابة و الانشاء هو بالصناعة اليدوية و الوشى و التطريز أشبه منه بالبيان العربى السلسال و كلام العرب الأولين المرسل الجارى مع الطبع، و غلب عليهم السجع و البديع و غلوا فى ذلك غلوا أذهب بهاء اللغة و رواءها و قيد الأدب بسلاسل و أغلال أفقدت حريته و انطلاقه و خفة روحه و جماله .

و تزعم هؤلاء الأدب العربى و احتكروه و خضع لهم العالم العربى الاسلامى لنفوذهم و علو مكانتهم تارة و للانحطاط الفكرى و الاجتماعى الذى كان يسود على العالم الاسلامى أخرى ، و أصبح أسلوبهم للكتابة هو الأسلوب الوحيد الذى يحتذى و يقلد فى العالم الاسلامى .

و جاء الحريرى فألف المقامات — و هو أسلوب الكتابة المسجعة المختصر — و قد تهيأت لقبولها العقول فعكف عليها العالم الاسلامى دراسة و شرحا و تقليدا و حفظا ، و تغلغلت فى مدارس الفكر و الأدب و بقيت مسيطرة على العقول و الأقلام أطول مدة تمتع بها كتاب أدبى و ما ذاك لفضل الكتاب بل لأنه قد وافق هوى فى النفوس و صادف عصر الجمود و العقم الأدبى فى العالم الاسلامى .

ثم جاء القاضى الفاضل — مجدد أسلوب الحريرى و بالأصح مقلده — و هو وزير أعظم دولة إسلامية فى عصرها ، و كاتب سر أحب سلطان فى عهده صلاح الدين الأيوبى قاهر الصليبين و معيد مجد المسلمين — فانتشر أسلوبه فى العالم الاسلامى و حرص على تقليده الكتاب و المنشؤن فى أنحاء المملكة الاسلامية[1] .

و هكذا بقى أسلوب وحيد يتحكم فى العالم الاسلامى و يسيطر على الأوساط الأدبية و أصبح ما خلفه هؤلاء الكتاب المتصنعون من تراث أدبى هو المعنى بالأدب العربى و جاء المؤرخون للادب فاعتبروهم أئمة البلاغة و أمراء البيان و أصحاب الأساليب و قدموا ما كتبوه و عرضوه للدارسين

---

(١) ظهرت نماذجهم فى الكتاب لقيمتها الفنية ولأنها تمثل دورا خاصا من تاريخ الأدب العربى .

و الباحثين و قلد بعضهم بعضا و تناقلوه و أصبحت كتب التاريخ و الأدب نسخة واحدة و أصبحت الكتابة صورة واحدة من القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر ، لا يستثنى منها إلا عبقريان اثنان أولهما ابن خلدون و ثانيهما الامام احمد بن عبد الرحيم الدهلوى[1] (م ١١٧٦ ه) .

و تناسى هؤلاء ما كتب غيرهم و انصرف الناس — حتى الباحثين منهم — عن ذخائر الأدب العربى الثمينة ، و لم يفكر أحد فى أن يبحث فى كتب التاريخ و السير و التراجم و فى مؤلفات العلماء عن قطع أدبية رائعة تفوق — فى قوتها و حيويتها ، و سلاستها و سلامتها و فى بلاغتها و جمال لغتها — على دواوين أدبية و مجاميع و رسائل أكب عليها الناس و افتتنوا بها .

هذا و قد بقيت طائفة من العلماء — حتى فى عصور الانحطاط الأدبى — غير خاضعين لأسلوب تقليدى فى عصرهم متحررين من السجع و البديع و الصنائع و المحسنات اللفظية يكتبون و يؤلفون فى لغة عربية نقية و فى أسلوب مطبوع يتدفق بالحياة إذا قرأه الانسان ملكه الاعجاب و أمن بفكرتهم و خضع لعقيدتهم و لما يقررونه و هذه القطع التى طويت فى أثناء كتب علمية أو دينية فجهلها الأدباء و زهد فيها تلاميذ الأدب هى من بقايا الأدب العربى الأصيل ، و هى التى عاشت بها العربية هذه السنين الطوال و هى التى يفزع إليها المتأدب المتذوق و هى رياض خصبة فى صحراء العربية القاحلة التى تمتد من عصر ابن العميد إلى عصر القاضى الفاضل إلى أن جاء ابن خلدون .

---

(١) اقرأ كتابه الفريد « حجة الله البالغة » ، واقرأ ترجمة مؤلفه فى « نزهة الخواطر » الجزء السادس طبع دائرة المعارف العثمانيه بحيدرآباد ، الهند .

إن ما كتب هؤلاء العلماء غير معتقدين أنهم يكتبون للأدب و لا زاعمين أنهم فى مكانة عالية من الانشاء هو الذى يسعد العربية و يشرفها أكثر مما يسعدها و يشرفها كتابات الأدباء و رسائلهم و موضوعاتهم الأدبية ، و أخاف لو أنهم قصدوا الأدب و تكلفوا الانشاء لفسدت كتابتهم و فقدت ذلك الرونق و تلك العذوبة التى تمتاز بها كتابتهم و خسرنا هذه القطع الجميلة المليئة بالحياة ، فقد التصقت بالأدب شروط و صفات و تقاليد هى المفسدة له الطامسة لنوره ، فلا بد فيه من السجع و الصناعة و لا بد فيه من البديع و المحسنات اللفظية و لا بد من تقليد من يعد فى الطبقة الأولى من الأدباء، أما الكتابات العلمية التاريخية أو الدينية فليست فيها هذه الالتزامات و هذه الشروط القاسية فتأتى أبلغ و أجمل .

و نرى الكاتب الواحد إذا تناول موضوعا أدبيا و تكلف الانشاء تدنى و أسف و تعسف و تكلف و لم يأت بخير ، و إذا استرسل فى الكلام و كتب فى موضوع على أو دينى أحسن و أجاد ، هكذا نرى الزمخشرى متكلفا مقلدا فى « أطواق الذهب » و كاتبا موفقا بليغا فى مقدمة « المفصل » و فى مواضع من تفسيره « الكشاف » ؛ و هكذا نجد ابن الجوزى غير موفق فى كتابه « المدهش » و كاتبا مترسلا بليغا فى كتابه « صيد الخاطر » : و ظنى أنهما كانا يعتبران أثريهما الأدبيين « أطواق الذهب » و « المدهش » من أفضل كتاباتهما الأدبية التى يعتمدان عليها و يفتخران بها و لعل عصرهما صفق لهذين الكتابين الأطواق و المدهش أكثر مما صفق لكتاباتهم العلمية و الأدبية و الدينية و لكن قاضى الزمان و حاكم الذوق قد حكما بالعدل و ليس اليوم للكتابين الأولين قيمة كبيرة أما صيد الخاطر و تلبيس إبليس و المفصل

و الكشاف فهى جديرة بالبقاء جديرة بكل اعتناء .

ليس السر فى فضل هذه الكتابات العلمية و الدينية و تأثيرها و قوتها و جمالها هو التحرر من السجع و البديع و ترسلها فحسب بل السبب الأكبر هو أن هذه الكتابات قد كتبت عن عقيدة و عاطفة و عن فكرة و اقتناع و عن حماسة و عزم . أما الكتابات الأدبية فقد كان غالبها يكتب بالاقتراح من ملك أو وزير او صديق او لارضاء شهوة الأدب أو تحقيق رغبة المجتمع أو حبا للظهور و التفوق، و هذه كلها دوافع سطحية لا تمنح الكتابة القوة و الروح و لا تسبغ عليها لباس البقاء و الخلود و لا تعطيها التأثير فى النفوس و القلوب، و الفرق بينها و بين الكتابات المنبعثة من القلب و العقيدة كالفرق بين الصورة و الانسان و كالفرق بين النائحة و الثكلى .

و يذكرنى هذا قصة روينا فى الصبا و هو أن كلبا قال لغزال : ما لى لا ألحقك و انا من تعرف فى العدو و القوة، قال : لأنك تعدو لسيدك و أنا اعدو لنفسى .

و قد كان هؤلاء الكتاب المؤمنون الذين ملكتهم فكرة او عقيدة او يكتبون لأنفسهم يكتبون إجابة لنداء ضميرهم و عقيدتهم مندفعين منبعثين فتشتعل مواهبهم و يفيض خاطرهم و يتحرق قلبهم فتثال عليهم المعانى و تطاوعهم الألفاظ و تؤثر كتابتهم فى نفوس قرائها لأنها خرجت من قلب فلا تستقر إلا فى قلب .

اما هؤلاء المتصنعون فانهم فى كتاباتهم الأدبية أشبه بالممثلين قد يمثلون الملوك فيتصنعون ابهة الملك و مظاهره و قد يمثلون الصعلوك فيتظاهرون بالفقر و قد يمثلون السعيد و قد يمثلون الشقى من غير أن يذوقوا لذة السعادة

أو يكتووا بنار الشقاء و قد يعزون من غير أن يشاركوا المفجوع فى أحزانه و قد يهنؤن من غير ان يشاركوا السعيد فى افراحه .

بالعكس من ذلك إقرأ كتابات الغزالى فى « الاحياء » و فى « المنقذ من الضلال »؛ و اقرأ خطب عبد القادر الجيلى (رضى الله عنه) ما صح منها، و اقرأ ما كتبه القاضى ابن شداد عن صلاح الدين، و اقرأ ما كتبه شيخ الاسلام ابن تيمية و تلميذه الحافظ ابن قيم الجوزية[1] فى كتبهما تر مثالا رائعا للكتابة الأدبية العالية يتدفق قوة و حياة و تأثيرا و ذلك هو الأدب الحى الخليق بالبقاء و لا سبب لذلك إلا انه كتب عن عقيدة و عاطفة .

و هنالك شيء آخر و هو ان الايمان و صفاء النفس و الاشتغال بالله و العزوف عن الشهوات يمنح صاحبه صفاء حس و لطافة نفس و عذوبة روح و نفوذا إلى المعانى الدقيقة و اقتدارا على التعبير البليغ فتأتى كتابته كأنها قطعة من نفس صاحبها و صورة لروحه خفيفة على النفس مشرقة الديباجة لطيفة السبك بارعة فى التصوير لذلك كان من الأدب الصوفى و فى كلام الصالحين العارفين قطع أدبية خالدة لم تفقد جمالها و قوتها على مر العصور و الاجيال. و ترى من ذلك نماذج فى كلام السادة الحسن البصرى و ابن السماك و الفضيل بن عياض و ابن عربى الطائى[2] تعد من محاسن العربية و اقرأ — على سبيل المثال — الحوار الذى دار بين ابن عربى و نفسه و سجله فى كتابه « رسالة روح القدس » .

إن هذه القطع الأدبية الدافقة بالحياة و القوة و الجمال كثيرة غير قليلة

---

(١) تقدم بعض هذه النماذج فى الجزء الأول ، ويأتى بعضها فى هذا الجزء (٢) تقدم بعض هذه النماذج فى الجزء الأول .

فى المكتبة العربية إذا جمعت تكونت منها مكتبة لكنها منثورة مبعثرة فى هذه المكتبة مطوية مغمورة فى اوراق كتب و مؤلفات لا تجدها فى ركن الأدب و الانشاء فى مكتباتنا العربية و لا يذكرها المؤرخون للأدب فى كتبهم هذه القطع اصدق تمثيلا للغة العربية و أدبها الرفيع و محاسنه من كثير من الكتب المختصة بالأدب و من كثير من المجاميع و الرسائل و المقامات و المقالات الأدبية التى تعتبر اساس الأدب و زهو العربية و محصول العقول.

و هذه القطع هى التى تخدم اللغة و الأدب اكثر مما تخدمها كتب اللغة. و الأدب و هى التى تفتق القريحة و تنشط الذهن و تقوى الذوق السليم و تعلم الكتابة الحقيقية .

إن هذه القطع و النصوص منثورة كما قلت فى كتب الحديث و السيرة و التاريخ و كتب الطبقات و التراجم و الرحلات و فى الكتب التى ألفت فى الاصلاح و الدين و الأخلاق و الاجتماع، و فى بحوث علمية و دينية، و فى كتب الوعظ و التصوف و فى الكتب التى سجل فيها المؤلفون خواطرهم و تجارب حياتهم، و ملاحظاتهم و انطباعاتهم و رووا فيها قصة حياتهم .

هذه ثروة أدبية زاخرة تكاد تكون ضائعة، و قد جنى هذا الاهمال على اللغة و الأدب و على الكتابة و الانشاء و على التأليف و التصنيف و على التفكير فقد حرمه مادة غزيرة من التعبير و باعثا قويا للتفكير .

مخطئ من يظن ان المكتبة العربية قد استنفدت و عصرت إلى آخر قطراتها أنها لا تزال مجهولة تحتاج إلى اكتشافات و مغامرات، انها لا تزال بكرا جديدة تعطى الجديد و تفجأ بالغريب المجهول، انه لا تزال فيها ثروة دفينة تنتظر من يحفرها و يثيرها .

إن مكتبة الأدب العربي فى حاجة شديدة إلى استعراض جديد و إلى دراسة جديدة و إلى عرض جديد .

و لكن هذه الدراسة و هذا الاستعراض يحتاجان إلى شىء كبير من الشجاعة و إلى شىء كبير من الصبر و الاحتمال و الى شىء كبير من رحابة الصدر و سعة النظر فالذى يخوض فيها ليخرج على العالم بتحف أدبية جديدة و ذخائر عربية جديدة ، ينبغى ألا يكون ضيق التفكير ، جامدا متعصبا فى فهمه للأدب متعصبا لبلد أو لطبقة أو لعصر ، تهوله ضخامة العمل ، و اتساع المكتبة العربية ، أو يوحشه عنوان دينى أو يمنعه — من الاختيار و الدراسة — اسم قديم لا صلة له بالأدب و الأدباء ، يجب أن يكون حر التفكير ، واسع الأفق بعيد النظر متطلعا إلى الدراسة و التجربة واسع الاطلاع على الكنوز القديمة يفهم الأدب فى أوسع معانيه و يعتقد انه تعبير عن الحياة و عن الشعور و الوجدان فى أسلوب مفهم مؤثر لا غير .

إنى لا أزدرى كتب الأدب القديمة — من رسائل و مقامات و غيرها — و لا أقلل قيمتها اللغوية و الفنية و أعتقد أنها مرحلة طبعية فى حياة اللغات و الآداب ، و لكننى أعتقد أنها ليست الأدب كله و أنها لا تحسن تمثيل أدبنا العالى الذى هو من أجمل آداب العالم و أوسعها و أنها جنت على القرائح و الملكات الكتابية ، و المواهب و الطاقات و على صلاحية اللغة العربية و منعت من التوسع و الانطلاق فى آفاق الفكر و التعبير و التحليق فى أجواء الحقيقة و الخيال ، و تخلفت بهذه الأمة العظيمة ذات اللغة العبقرية و الأدب الغنى فترة غير قصيرة نخير لنا ان نعطيها حظها من العناية و الدراسة و نضعها فى مكانها الطبعى فى تاريخ الأدب و طبقات الأدباء ، و أن ننقّب

فى المكتبة العربية من جديد و تعرض على ناشئتنا و على الجيل الجديد نماذج جديدة من الكتب القديمة للأدب العربى حتى يتذوق جمال هذه اللغة و ينشأ على الابانة و التعبير البليغ ، و يتعرف بهذه المكتبة الواسعة و يستطيع أن يفيد منها .

على هذا الأساس، و على هذه الفكرة ألّفنا كتابنا « مختارات من أدب العرب » و ها هو الجزء الثانى من هذا الكتاب يجمع بين الطبعى و الفنى — و لكلٍّ قيمةٌ أدبية — و يجمع بين القديم و الحديث ، نرجو أن يقع من الأدباء و المعلمين موقع الاستحسان و القبول ، و ينتفع به الطلبة كما انتفعوا بجزءه الأول .

و شكرى و تقديرى للأخ العزيز الأستاذ محمد ركن الدين أرشد الذى كان له فضل فى طبع هذا الكتاب و الاشراف عليه ، و الأستاذ الفاضل الشيخ محمد عبد الستار خان (استاذ اللغة العربية بالجامعة العثمانية — حيدرآباد الدكن، الهند) الذى بذل جهده فى تصحيح الكتاب و مراجعته ، و أشرف على طبعه ، و شكرى و تقديرى للأستاذ عبد الحفيظ البلياوى الذى ساعد المؤلف و تناول الكتاب بالشرح و الايضاح .

و الحمد لله أولا و آخرا و صلى الله على خير خلقه و خاتم رسله سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه .

أبو الحسن على الحسنى الندوى	ندوة العلماء، لكهنؤ
غرة جمادى الآخرة، عام ٨٠ هـ	الهند

الآيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓرٰ تِلْكَ اٰيٰتُ الْكِتٰبِ ۗ وَالَّذِىْ اُنْزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلٰكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُوْنَ ۞ اَللّٰهُ الَّذِىْ رَفَعَ السَّمٰوٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۗ كُلٌّ يَّجْرِىْ لِاَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ يُدَبِّرُ الْاَمْرَ يُفَصِّلُ الْاٰيٰتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوْقِنُوْنَ ۞ وَهُوَ الَّذِىْ مَدَّ الْاَرْضَ وَجَعَلَ فِيْهَا رَوَاسِىَ (١) وَاَنْهٰرًا ۗ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرٰتِ جَعَلَ فِيْهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِى الَّيْلَ النَّهَارَ ۗ اِنَّ فِىْ ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَّتَفَكَّرُوْنَ ۞ وَفِى الْاَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجٰوِرٰتٌ (٢) وَّجَنّٰتٌ مِّنْ اَعْنَابٍ وَّزَرْعٌ وَّنَخِيْلٌ صِنْوَانٌ (٣) وَّغَيْرُ صِنْوَانٍ يُّسْقٰى بِمَآءٍ وَّاحِدٍ وَّنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلٰى بَعْضٍ فِى الْاُكُلِ ۗ اِنَّ فِىْ ذٰلِكَ لَاٰيٰتٍ لِّقَوْمٍ يَّعْقِلُوْنَ ۞ وَاِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ ءَاِذَا كُنَّا تُرٰبًا ءَاِنَّا

---

(١) اى الجبال الثوابت الرواسخ (٢) التى جاورت بعضها بعضا (٣) الصنو الغصن الخارج عن اصل الشجرة .

لَفِيْ خَلْقٍ جَدِيْدٍ ۚ أُولٰٓئِكَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا بِرَبِّهِمْ وَ أُولٰٓئِكَ الْاَغْلٰلُ فِيْ
اَعْنَاقِهِمْ وَ أُولٰٓئِكَ اَصْحٰبُ النَّارِ هُمْ فِيْهَا خٰلِدُوْنَ ۝ وَ يَسْتَعْجِلُوْنَكَ
بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلٰتُ (١) وَ إِنَّ رَبَّكَ
لَذُوْ مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلٰى ظُلْمِهِمْ ۚ وَ اِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيْدُ الْعِقَابِ ۝ وَ يَقُوْلُ
الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَوْ لَآ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اٰيَةٌ مِنْ رَّبِّهٖ ۚ اِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ
وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝ اَللّٰهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثٰى وَمَا تَغِيْضُ (٢)
الْاَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۚ وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ۝ عٰلِمُ الْغَيْبِ
وَ الشَّهَادَةِ الْكَبِيْرُ الْمُتَعَالِ ۝ سَوَآءٌ مِنْكُمْ مَنْ اَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهٖ
وَ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَ سَارِبٌ (٣) بِالنَّهَارِ ۝ لَهٗ مُعَقِّبٰتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ
وَ مِنْ خَلْفِهٖ يَحْفَظُوْنَهٗ مِنْ اَمْرِ اللّٰهِ ۚ اِنَّ اللّٰهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتّٰى
يُغَيِّرُوْا مَا بِاَنْفُسِهِمْ ۚ وَ اِذَآ اَرَادَ اللّٰهُ بِقَوْمٍ سُوْٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهٗ وَمَا لَهُمْ
مِنْ دُوْنِهٖ مِنْ وَّالٍ ۝ هُوَ الَّذِيْ يُرِيْكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَّطَمَعًا وَ يُنْشِئُ
السَّحَابَ الثِّقَالَ ۝ وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهٖ وَ الْمَلٰٓئِكَةُ مِنْ خِيْفَتِهٖ
وَ يُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيْبُ بِهَا مَنْ يَّشَآءُ وَهُمْ يُجَادِلُوْنَ فِي اللّٰهِ وَ هُوَ
شَدِيْدُ الْمِحَالِ (٤) ۝ لَهٗ دَعْوَةُ الْحَقِّ ۚ وَ الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِهٖ

---

(١) جمع مثلة وهى نقمة تنزل بالإنسان فيجعل مثالا يرتدع به غيره (٢) اى تفسده فتجعله كالماء الذى تبتلعه الأرض (٣) اى الذاهب فى سربه اى طريق كان (٤) اى الأخذ بالعقوبة .

لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ
وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ۚ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۞ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ
فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (١) ۞
قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ
أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى
وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ
خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ
الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۞ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ
السَّيْلُ زَبَدًا (٢) رَابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ
زَبَدٌ مِثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ
فَيَذْهَبُ جُفَاءً (٣) وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ
يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ۞ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ ۚ وَالَّذِينَ
لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا
بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۞
أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ

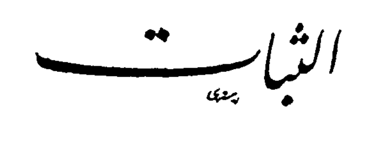
---

(١) جمع أصيل وهو ما بين العصر و المغرب (٢) ما يعلو الماء ونحوه من الرغوة .
(٣) هو ما يرمى به الوادى او القدر من الغثاء الى جوانبه .

إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ۝ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ۝ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ۝ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (١) ۝

---

(١) سورة الرعد .



بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۞ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ (١) وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا ۞ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۞ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۞ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ (٢) وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ۞ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ

(١) جمع حنجرة و هى الحلقوم ، و بلغت القلوب الحناجر كناية عن شدة الخوف .

(٢) غير حصينة تخشى عليها .

مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ۝ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللّٰهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ اللّٰهِ مَسْئُولًا ۝ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِى يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللّٰهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللّٰهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ قَدْ يَعْلَمُ اللّٰهُ الْمُعَوِّقِينَ (١) مِنْكُمْ وَالْقَآئِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ (٢) إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ أَشِحَّةً (٣) عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِى يُغْشٰى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ (٤) بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللّٰهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذٰلِكَ عَلَى اللّٰهِ يَسِيرًا ۝ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِى الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَآئِكُمْ ۚ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوٓا إِلَّا قَلِيلًا ۝ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللّٰهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللّٰهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ

---

(١) المثبطين (٢) اسم فعل بمعنى الدعاء الى الشيء كتعال فتكون لازمة وقد تستعمل متعدية نحو هلم شهداءكم اى احضروهم (٣) جمع شحيح ، والشح هو البخل مع الحرص (٤) طعنوا وآذوا بالكلام .

وَذَكَرَ

صفة رسول الله صلى الله عليه وسلّم

كان رسول الله صلى الله عليه و سلم متواصل[١] الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة، طويل السكت لا يتكلم فى غير حاجة، يفتتح الكلام و يختمه بأشداقه[٢]، و يتكلم بجوامع الكلم[٣]، كلامه فصل[٤] لا فضول و لا تقصير، ليس بالجافى[٥] و لا المهين[٦]، يعظم النعمة و إن دقت[٧]، لا يذم منها شيئا، غير انه لم يكن يذم ذواقا[٨] و لا يمدحه، و لا تغضبه الدنيا و لا ما كان لها[٩]، فاذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شىء حتى ينتصر له، لا يغضب لنفسه و لا ينتصر لها، اذا اشار اشار بكفه كلها، و إذا تعجب قلبها، و إذا تحدّث اتصل بها و ضرب براحته اليمنى بطن ابهامه اليسرى، و إذا غضب اعرض و أشاح[١٠]، و إذا فرح غض طرفه، جُلّ[١١] ضحكه التبسم، يفتر[١٢] عن مثل حب الغمام[١٣]،

---

(١) اى لاينفك حزن عن حزن يعقبه (٢) جمع شدق بالكسر طرف الفم اى انه يستعمل جميع فمه للتكلم و لا يقتصر على تحريك شفتيه كفعل المتكبرين (٣) اى بكلمات قليلة الحروف جامعة لمعان كثيرة، و قيل المراد بالجوامع القواعد الكلية المحتوية على الفروع المتكاثرة (٤) الفاصل بين الحق و الباطل (٥) الغليظ الطبع السيء الخلق العديم البر (٦) يروى بضم الميم و فتحها فالضم على الفاعل من اهان اى لايهين من يصحبه و الفتح على المفعول من المهانة اى الحقارة و الابتذال فالمعنى لم يكن غليظ الخلق و لا ضعيفه بل كان معتدلا من انواع المهابة والوقار و الجلالة. (٧) صغرت و قلت (٨) المأكول والمشروب فعال بمعنى المفعول من الذوق (٩) اى و لا يغضبه ايضا ما كان له علاقة بالدنيا. (١٠) جد فى الاعراض و بالغ فيه. (١١) معظمه و أكثره (١٢) من افترضحك ضحكا حسنا حتى بدت اسنانه من غير قهقهة (١٣) اى البرد بفتحتين.

و كان فخما[١] مفخما[٢] يتلألأ[٣] وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر ، مسيح[٤] القدمين ينبو[٥] عنهما الماء ، اذا زال زال[٦] قلعا يخطو تكفيا[٧] و يمشى هونا ذريع[٨] المشية ، اذا مشى كأنما ينحط من صبب[٩] ، و إذا التفت التفت جميعا[١٠] ، خافض الطرف نظره الى الأرض اكثر من نظره الى السمآء ، جل نظره الملاحظة[١١] ، يسوق[١٢] اصحابه ، يبدأ من لقى بالسلام –[١٣] ، لم يكن فاحشا[١٤] متفحشا[١٥] و لا صخابا[١٦] فى الأسواق ، و لا يجزى السيئة بالسيئة و لكن يعفو و يصفح[١٧] ، ما ضرب بيده شيئا قط إلا ان يجاهد فى سبيل الله و لا ضرب خادما و لا امرأة ، ما رأيته منتصرا[١٨] من مظلمة ظُلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله تعالى شيء ، فاذا انتهك من محارم الله تعالى كان من اشدهم غضبا ؛ و ما خُيّر بين امرين إلا اختار ايسرهما ، (و إذا دخل بيته) كان بشرا

---

(١) بفتح الفاء و سكون الخاء اى عظيما فى نفسه (٢) اى المعظم فى الصدور و العيون. (٣) اى يستنير (٤) املسهما (٥) يتباعد و يتجافى (٦) اى رفع رجله عن الأرض رفعا بائنا بقوة لا كمن يمشى اختيالا و يقارب خطاه تبخترا (٧) جملة مؤكدة لما قبلها و هو بكسر الفاء المشددة بعدها ياء اى يمشى مائلا الى سنن المشى لا الى طرفيه يقال يتكفا فلان اى يتمايل الى قدام (٨) اى سريعها (٩) اى محل منحدر (١٠) اى لا يسارق النظر (١١) و هى مفاعلة من اللحظ و هو النظر باللحاظ يقال لحظه و لحظ اليه اى نظر اليه بمؤخر العين و المراد ان جل نظره فى غير او ان الخطاب الملاحظة فلا يناقض قوله إذا التفت التفت جميعا و تحمل الملاحظة على حال العبادة (١٢) اى يقدمهم امامه و يمشى خلفهم تواضعا (١٣) عن الحسن بن على عن خاله هند بن ابى هالة (١٤) اى ذو فحش من القول و الفعل و إن كان استعماله فى القول اكثر منه فى الفعل و الصفة (١٥) اى و لا المتكلف به اى لم يكن الفحش له خلقيا و لا كسبيا (١٦) اى صيّاحا (١٧) صفح عنه : اعرض عنه و تركه ، بابه فتح (١٨) منتقما .

من البشر يفلى[1] ثوبه و يحلب شاته و يخدم نفسه •

كان يخزن لسانه إلا فيما يعنيه و يؤلفهم و لا ينفرهم ، و يكرم كريم كل قوم و يوليه عليهم ، و يحذر الناس و يحترس منهم من غير أن يطوى على احد منهم بشره[2] و لا خلقه . و يتفقد[3] اصحابه و يسأل الناس عما فى الناس ، و يحسن الحسن و يقويه ، و يقبح القبيح و يوهيه[4] ، معتدل الأمر غير مختلف ، و لا يغفل مخافة ان يغفلوا و يملوا ، لكل حال عنده عتاد[5] ، لا يقصر عن الحق و لا يجاوزه ، الذين يلونه من الناس خيارهم ، افضلهم عنده اعمهم نصيحة و أعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة[6] و موازرة[7] : لا يقوم و لا يجلس إلا على ذكر ، و إذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس و يأمر بذلك ، يعطى كل جلسائه بنصيبه ، لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه ، من جالسه او فاوضه[8] فى حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف ، و من سأله حاجته لم يرده إلا بها او بميسور من القول ، قد وسع الناس بسطه و خلقه فصار لهم ابا ، و صاروا عنده فى الحق سواء ، مجلسه مجلس علم و حياء و صبر و أمانة لا ترفع فيه الأصوات ، و لا تؤبن[9] فيه الحرم و لا تنثى[10] فلتاته[11] ؛

---

(١) فلى يفلى فليا رأسه او ثوبه : نقاهما من القمل (٢) بالكسر طلاقة الوجه و بشاشته . (٣) اى يتعرف و يطلب من غاب منهم (٤) بتشديد الهاء و تخفيفها من التوهية و الايهاء : يضعفه (٥) بالفتح هو العدة و التأهب مما يصلح لكل مايقع ج اعتد و عتد و اعتدة (٦) المداراة و هى اصلاح احوال الناس بالمال و النفس (٧) المعاونة (٨) اى عامله فى حاجة او خالطه (٩) بضم التاء و سكون الهمزة من الأبن و هو العيب و التهمة اى لا تقذف و لا تعاب (١٠) بضم التاء و سكون النون و فتح المثلثة اى لا تشاع و لا تذاع (١١) اى زلاته و معائبه على تقدير وجود و قوعها جمع فلتة و هى ما يبدر من الرجل من سقطة .

متعادلين[١] يتفاضلون فيه بالتقوى، متواضعين يوقرون فيه الكبير و يرحمون فيه الصغير و يؤثرون ذا الحاجة و يحفظون الغريب – [٢] .

كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب[٣]، ليس بفظ[٤] و لا غليظ و لا صخاب و لا فحاش و لا عياب و لامشاح[٥]، يتغافل عما لا يشتهى و لا يؤيس منه و لا يجيب[٦] فيه ؛ قد ترك نفسه من ثلاث : المراء[٧] و الاكبار و ما لا يعنيه، و ترك الناس من ثلاث كان لا يذم احدا و لا يعيبه و لا يطلب عورته . و لا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه . و إذا تكلم اطرق[٨] جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير. فاذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث، و من تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ ؛ حديثهم عنده حديث اولهم[٩] يضحك منه مما يضحكون و يتعجب مما يتعجبون و يصبر للغريب على الجفوة فى منطقه و مسألته حتى ان كان اصحابه يستجلبونهم و يقول اذا رأيتم طالب حاجة يطلبها فأرفدوه[١٠]. و لا يقبل الثناء إلا من مكافئ[١١] و لا يقطع على احد حديثه حتى يجوز[١٢] فيقطعه بنهى او قيام .

---

(١) متساويين (٢) عن الحسن بن على عن الحسين بن على عن على بن ابى طالب.
(٣) اى سريع العطف كثير اللطف جميل الصفح ، وقيل قليل الخلاف ، وقيل كناية عن السكون والوقار و الخشوع و الخضوع (٤) الغليظ السيئ الخلق الخشن الكلام ج افظاظ ، وفى القرآن : ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك .
(٥) اسم فاعل من باب المفاعلة من الشح و هو البخل و قيل اشده (٦) اى لا يجيب احدا فيما لا يشتهى بل يسكت عنه عفوا وتكرما (٧) الجدال (٨) اما لوا رأسهم وأقبلوا ببصرهم الى صدورهم (٩) اى حديث افضلهم او كأول تكلمهم اى لا عن ملال وسآمة (١٠) الارفاد الاعطاء والاعانة (١١) اى مقارب فى مدحه غير مجاوز به عن حد مثله ولا مقصر به عما رفعه الله اليه من علو مقامه (١٢) اى يتجاوز عن الحد او الحق.

اجود الناس صدرا و أصدق الناس لهجة[١] و ألينهم عريكة[٢] و أكرمهم عشيرة . من رآه بديهة هابه و من خالطه معرفة احبّه . يقول ناعته لم أر قبله و لا بعده مثله صلى الله عليه و سلم -٣- .

صفة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه

رجل لا يحب الباطل و ليس من الباطل فى شيء، ان الله جعل الحق على لسانه و قلبه ، و هو الفاروق فرّق الله به بين الحق و الباطل ، افضل (الناس) مقدرة و أملكهم لنفسه ، اشدهم فى حال الشدة و أسلسهم فى حال اللين ، و أعلمهم برأى ذوى الرأى . لا يتشاغل بما لا يعنيه ، و لا يحزن لما ينزل به ، و لا يستحي من التعلّم ، و لا يتحير عند البديهة ، قوى على الأمور لا يخور[٤] لشيء منها حده بعدوان و لا تقصير ، يرصد[٥] لما هوآت عتاده من الحذر و الطاعة ، رشيد الأمر تنطق السكينة على لسانه و قلبه ، من رآه علم انه خلق غناء ا للاسلام ، كان - و الله - اجودنا نسيج[٦] وحده قد اعد للأمور اقرانها . كان اسلامه فتحا ، وكانت هجرته نصرا ، وكانت امارته رحمة ، وكان حصنا حصينا للاسلام ما زلنا اعزة منذ اسلم ، استخلف فأقام و استقام حتى ضرب الدين بجرانه[٧] ، انما كان مثل الاسلام ايامه مثل امر مقبل لم يزل فى اقبال ، فلما قتل ادبر فلم يزل فى ادبار و إن موته ثلم الاسلام ثلمة[٨]

---

(١) اللسان (٢) الطبيعة ج عرائك (٣) عن الحسن بن على عن الحسين بن على عن على رضى الله عنهم ملتقطا من جزء الشمائل للترمذى (٤) لا يفتر و لا يضعف (٥) رصد كنصر رَصْدا ورَصَدا : رقبه (٦) اى منفرد لا نظير له (٧) اى ثبت و استقر من قولهم ضرب البعير بجرانه وألقى جرانه اذا برك (٨) الخلل، محل الكسر من المكسور .

لا ترتق[1] الى يوم القيامة .

كان جوادا بالحق بخيلا بالباطل ، يرضى من الرضى و يسخط من السخط ، لم يكن مدّاحا و لا مغيابا[2] ، طيب الطرف عفيف الطرف[3] ، وقّافا عند كتاب الله ، وكان كالطير الحذرى الذى كأنّ له بكل طريق شركا[4] ، قليل الضحك لا يمازح احدًا ، مقبلا على شأنه ، اذا تكلم اسمع ، و إذا مشى اسرع ، و إذا ضرب اوجع ، و هو الناسك حقا يمشى فى الأسواق و يطوف فى الطرقات ، و يقضى بين الناس فى قبائلهم ، و يعلمهم فى اماكنهم ، رأيته خرج الى السوق و بيده الدرة[5] و عليه ازار فيه اربع عشرة رقعة بعضها من ادم[6] . و قدم الجابية[7] على جمل اورق[8] تلوح صلعته[9] للشمس ليس عليه قلنسوة و لا عمامة رجلاه بين شعبتى رحله بلا ركاب ، وطاءه كساء انبجانى[10] ذو صوف هو ركابه اذا ركب و فراشه اذا نزل، حقيبته[11] نمرة[12] او شملة[13] محشوة[14] ليفًا[15] هى حقيبته اذا ركب و وسادته اذا نزل، عليه قميص من كرابيس[16] قد رسم و تخرق جنبه -[17] .

---

(١) رتق كنصر و ضرب رتقا الثوب ضد فتقه (٢) مبالغة من الغيبة (٣) بفتحتين اى الذيل (٤) حبائل الصيد ج شُرُك و أشراك (٥) السوط ج دِرَر (٦) جمع اديم و هو الجلد المدبوغ (٧) موضع بالشام سافر اليه سيدنا عمر خليفةً (٨) الذى لونه لون الرماد (٩) مقدم رأسه وقد سقط شعره (١٠) نسبة الى آنبجان موضع يعمل فيه الكساء (١١) ما يحمله الراكب خلفه و الخريطة التى يضع فيها وراءه الزاد ونحوه (١٢) بردة من صوف فيها خطوط بيض و سود ج نِمار (١٣) كساء واسع يشتمل به ج شَمَلات (١٤) مملوءة (١٥) قشر النخل و ما شاكله (١٦) جمع كرباس و هو الثوب الخشن، و الكلمة من الدخيل (١٧) ملتقط من سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزى .

صفة سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه

عن ابي صالح قال قال معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنهما لضرار بن ضمرة:
صف لي عليّا، فقال: او تعفيني؟ قال: بل صفه! قال: او تعفيني؟ قال: لا اعفيك.
قال: اما اذا فانه — و الله — كان بعيد المدى شديد القوى، يقول فصلا و يحكم عدلا، يتفجر العلم من جوانبه و من نواحيه، يستوحش من الدنيا و زهرتها[1]، و يستأنس بالليل و ظلمته، كان — و الله — غزير[2] الدمعة، طويل الفكرة، يقلب كفه و يخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن و من الطعام ما جشب[3]، كان — و الله — كأحدنا يجيبنا اذا سألناه و يبتدئنا اذا اتيناه و يأتينا اذا دعوناه، و نحن — و الله — مع تقريبه لنا و قربه منا لا نكلمه هيبة و لا نبتديه. فان تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم؛ يعظم اهل الدين و يحب المساكين، لا يطمع القوى في باطله و لا ييأس الضعيف من عدله، و أشهد بالله! لقد رأيته في بعض مواقفه و قد ارخى[4] الليل سجوفه[5] و غارت[6] نجومه و قد مثل[7] في محرابه قابضا على لحيته يتململ[8] تململ السليم[9] و يبكي بكاء الحزين و كأني اسمعه و هو يقول:

يا دنيا! أبي تعرضت ام لي تشوفت[10]! هيهات هيهات! غري غيري!

---

(١) بهجتها و غضارتها (٢) الكثير بابه كرم (٣) جشب كنصر و علم جَشْباً و ككرم جشابة الطعام اى غلظ (٤) اسدل (٥) جمع سجف بالكسر والفتح: الستر (٦) سقطت و انخسفت (٧) مثل كنصر و كرم مثولا اى قام منتصبا (٨) تململ: تقلب على فراشه مرضا او غما (٩) اللديغ او الجريح المشرف على الموت، سموه به تفاؤلا بالسلامة (١٠) تشوف الى الشيء: نظر و أشرف و تطلع اليه.

قد بتتك ثلاثا لا رجعة لى فيك! فعمرك قصير و عيشك حقير و خطرك كبير! آه من قلة الزاد و بعد السفر و وحشة الطريق!

قال فذرفت [1] دموع معاوية رضى الله عنه حتى خرّت على لحيته فما يملكها و هو ينشفها بكمه و قد اختنق القوم بالبكاء ثم قال معاوية: رحم الله ابا الحسن! كان – و الله – كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال حزن من ذبح ولدها فى حجرها [2] فلا ترقأ [3] عبرتها و لا يسكن حزنها – [4].

صلح الحديبيّة

عن المِسْوَر بن مَخْرَمَة و مروان يصدق كلّ واحد منهما حديث صاحبه قالا: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحُدَيْبِيَة [5] حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال النبى صلى الله عليه و سلم: ان خالد [6] بن الوليد بالغُمَيم [7] فى خيل لقريش طليعة [8]، فخذوا ذات اليمين. فوالله ما شعر بهم خالد حتى اذا هم بقترة [9] الجيش، فانطلق يركض [10] نذيرًا لقريش، و سار النبى صلى الله عليه و سلم حتى

---

(١) ذرف كضرب ذرفا و ذريفا و ذروفا و ذرفانا و تذرافا الدمع اى سال.
(٢) اى حضنها ج حجور و حجورة و أحجار (٣) رقأ كفتح رقأ و رقوءا الدمع او الدم اى جف و انقطع (٤) صفة الصفوة لابن الجوزى (٥) بتخفيف الياء الثانية و قد تشدد موضع قريب من مكة، قرية سميت ببئر هناك او بشجرة و أكثرها فى الحرم، و قد خرج النبى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين هلال ذى القعدة سنة ست من الهجرة و هو المراد بقوله: زمن الحديبية (٦) القائد الاسلامى المعروف بسيف الله و كان يومئذ كافرا (٧) بالضم واد بديار حنظلة (٨) اى مقدمة الجيش (٩) الغبار الأسود (١٠) ركض كنصر ركضا الفرس برجليه اى استحثه للعدو استعجالا حال كونه منذرا لقريش.

اذا كان بالثنيّة[١] الّتى يهبط[٢] عليهم منها بركت به راحلته . فقال الناس : حَلْ حَلْ[٣] فألَحَّت[٤] ، فقالوا : خلأت[٥] القَصواء[٦] ! خلأت القَصواء ! فقال النبى صلى الله عليه و سلم : ما خلأت القصواء و ما ذاك لها بخُلُق ، و لكن حبسها حابس الفيل[٧] .

ثم قال : و الذى نفسى بيده لا يسألونّى خُطّة[٨] يعظّمون فيها حرمات الله إلا اعطيتهم اياها ، ثم زجرها[٩] فوثبت . قال : فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبيّة على ثَمَد[١٠] قليل الماء يتبرّضه الناس[١١] تبرضًا ، فلم يلبثه[١٢] الناس حتى نزحوه[١٣] ، و شكى الى رسول الله صلى الله عليه و سلم العطش ، فانتزع سهما من كنانته ثم امرهم ان يجعلوه فيه ؛ فو الله ما زال يجيش لهم بالرىّ[١٤] حتى صدروا[١٥] عنه . فبينما هم كذلك اذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر[١٦] من خُزاعة[١٧] و كانوا عَيبة[١٨] نصح رسول الله صلى الله عليه و سلم من اهل

---

(١) طريق العقبة ج ثنايا (٢) هبط كنصر و ضرب هبوطا فلان من الجبل اى نزل و يهبط عليهم اى على اهل مكة (٣) كلمة زجر للناقة (٤) من الالحاح اى لزمت مكانها (٥) خلأ كفتح خلوءا اى لم يبرح مكانه (٦) اسم ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٧) اى الله تعالى ، و الفيل فيل ابرهة (٨) الخصلة او الأمر العظيم (٩) زجره كنصر زجرا : طرده صائحا به (١٠) الحفرة يجتمع فيها ماء المطر ج ثماد (١١) اى يأخذونه قليلا قليلا (١٢) اى لم يتركوه يلبث ذلك الماء طويلا (١٣) نزح كضرب و فتح نزحا و نزوحا البئر اى استقى ماءها حتى قل كثيرا او نفد (١٤) روى كفرح رِيًّا و رَيًّا و رِوًى من الماء : شرب و شبع (١٥) اى رجعوا (١٦) جماعة الرجال من ثلاثة الى عشرة (١٧) قبيلة مشهورة (١٨) بالفتح : مايوضع فيه الثياب يحفظها ج عِيَب و عِياب و عَيبات ، و المراد انهم موضع النصح له و الأمانة على سره .

[illegible]

اقبلوها و دعونى آتيه . قالوا: ائته ، فأتاه، فجعل يكلم النبى صلى الله عليه و سلم .
فقال النبى صلى الله عليه و سلم نحوا من قوله لبديل . فقال عروة عند ذلك :
اى محمد ! أرأيت ان استأصلت[1] امر قومك هل سمعت بأحد من العرب
اجتاح[2] اصله قبلك ؟ و إن تكن الأخرى فانى و الله لأرى وجوهًا و إنى
لأرى اشوابا[3] من الناس خليقا[4] ان يفروا و يدعوك فقال له ابو بكر :
امصص[5] بظر[6] اللات ! أنحن نفر عنه و ندعه ؟ فقال : من ذا ؟ قالوا :
ابو بكر ! فقال : اما و الذى نفسى بيده ! لو لا يد كانت لك عندى لم اجزك
بها لأجبتك . قال : و جعل يكلم النبى صلى الله عليه و سلم . فكلما كلمه
أخذ بلحيته و المغيرة بن شعبة قائم على رأس النبى صلى الله عليه و سلم و معه
السيف و عليه المغفر[7] ، فكلما اهوى[8] عروة بيده الى لحية النبى صلى الله
عليه و سلم ضرب يده بنعل[9] السيف ، و قال أخر يدك عن لحية رسول الله
صلى الله عليه و سلم . فرفع عروة رأسه فقال : من هذا ؟ قالوا : المغيرة بن
شعبة . فقال : أى غدر[10] ! ألست اسعى فى غدرتك ؟ و كان المغيرة صحب
قومًا فى الجاهلية فقتلهم و أخذ أموالهم ثم جاء فأسلم . فقال النبى صلى الله
عليه و سلم : اما الاسلام فاقبل ، و أما المال فلست منه فى شىء .

ثم ان عروة جعل يرمق[11] اصحاب النبى صلى الله عليه و سلم بعينيه .

---

(١) استأصل الشىء اى قلعه من أصله (٢) اى استأصل (٣) اى الأخلاط من انواع شتى (٤) جديرا (٥) مصّ كفرح و نصر مصّا الشىء : رشفه ، و الفصيح الجيد من باب فرح (٦) ما بين الاسكتين من المرأة ج بظور (٧) قطعة من الدرع يلبسها المحارب تحت القلنسوة ج مغافر (٨) مدّ يده (٩) هو ما يكون اسفل القراب من فضة و غيرها (١٠) بضم المعجمة و فتح المهملة معدول عن غادر (١١) رمق كنصر =

قال : فوالله ما تنخّم [1] رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة [2] إلا وقعت فى كفّ رجل منهم فدلك [3] بها وجهه و جلده، و إذا أمرهم ابتدروا امره ، و إذا توضّأ كادوا يقتتلون على وَضوئه [4] ، و إذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده و ما يُحدّون [5] اليه النظر تعظيما له . فرجع عروة الى اصحابه فقال : أى قوم ! و الله لقد وفدت على الملوك و وفدت على قيصر [6] وكسرى [7] و النجاشى [8] و الله إن رأيت ملكا قط يعظّمه اصحابه ما يعظّم اصحاب محمد محمدًا . و الله ان تنخّم نخامة إلا وقعت فى كفّ رجل منهم فدلك بها وجهه و جلده . و إذا امرهم ابتدروا امره ، و إذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه ؛ و إذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، و ما يحدون اليه النظر تعظيما له . و إنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها . فقال رجل من بنى كنانة : دعونى آته ، فقالوا : ائته . فلما أشرف [9] على النبى صلى الله عليه و سلم و أصحابه قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : هذا فلان و هو من قوم يعظّمون البُدْن [10] فابعثوها له ، فبُعِثت له و استقبله الناس يلبّون [11] . فلما رأى ذلك قال : سبحان الله ! ما ينبغى لهؤلاء ان يصدّوا عن البيت . فلما رجع الى اصحابه قال : رأيت البدن قد قُلّدت [12] و أُشعرت [13] ، فما ارى ان يصدّوا عن البيت . فقام رجل

= ر مقالحظ لحظا خفيفا .

(١) دفع بشىء من صدره او أنفه (٢) مايدفعه الانسان من صدره او أنفه (٣) دلك كنصر دلكا طلاه وضمّخه (٤) بالفتح و هو الماء الذى يتوضأ به (٥) احدّ اليه النظر اى بالغ فى النظر اليه . (٦) لقب ملك الروم (٧) لقب ملك الفرس (٨) لقب ملك الحبشة (٩) اطلع عليه (١٠) جمع بدنة اى الناقة او البقرة (١١) اى يقولون لبيك لبيك .
(١٢) التقليد ان يعلق فى عنق الدابة شىء ليعلم انها هدى (١٣) الاشعار : الطعن فى =

منهم يقال له مِكرَز بن حفص، فقال: دعونى آته، فقالوا: ائته. فلما اشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم: هذا مكرز وهو رجل فاجر، فجعل يكلّم النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلّمه اذ جاء سهيل بن عمرو. قال معمر: فأخبرنى ايوب عن عكرمة انه لمّا جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم قد سُهّل لكم من امركم. قال معمر قال الزهرى فى حديثه فجاء سُهيل بن عمرو فقال: هات اكتب بيننا وبينكم كتابا. فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب [1]، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم. فقال سهيل: اما الرحمن فو الله ما ادرى ما هو؟ ولكن اكتب: باسمك اللهم كما كنت تكتب. فقال المسلمون: والله! لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اكتب باسمك اللهمّ. ثم قال: هذا ما قاضى [2] عليه محمد رسول الله. فقال سهيل: والله لوكنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك ولكن اكتب: محمد بن عبد الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: والله انى لرسول الله وإن كذّبتمونى، اكتب: محمد بن عبد الله. قال الزهرى: وذلك لقوله لا يسألونّى خُطّة يعظمون فيها حرمات الله إلا اعطيتهم اياها. فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: على ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به. فقال سهيل: والله! لا تتحدث العرب انا أُخذنا ضُغطة [3] ولكن ذلك من العام المقبل فكتب. فقال سهيل: وعلى انه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته الينا. قال المسلمون: سبحان الله! كيف يُردّ الى المشركين وقد جاء مسلما.

= سنام الهدى بحيث يسيل منه الدم ليكون علامة انه هدى.

(١) هو على كرم الله تعالى وجهه (٢) صالح. (٣) الزحمة والضيق، يقال اخذت فلانا ضغطة اذا ضيقت عليه لتكرهه على الشيء وتلجئه اليه.

فبينا هم كذلك اذ دخل ابو جندل بن سهيل بن عمرو يرسُف[1] فى قيوده و قد خرج من اسفل مكة حتى رمى بنفسه بين اظهر المسلمين ، فقال سُهيل : هذا اول ما اقاضيك عليه ان تردّه الىّ . فقال النبي صلى الله عليه و سلم : انا لم نقض الكتابَ بعدُ . قال: فوالله اذن لا اصالحك على شيء ابدا . فقال النبي صلى الله عليه و سلم: فأجزه[2] لى . فقال: ما انا بمجيز ذلك . قال: بلى! فافعل . قال: ما انا بفاعل . قال مِكرز: بل قد اجزناه لك . قال ابوجندل: اى معشر المسلمين! أُردّ الى المشركين و قد جئت مسلما! ألا ترون ما قد لقيت! وكان قد عُذِّب عذابا شديدا فى الله .

قال عمر بن الخطاب: فأتيت نبى الله صلى الله عليه و سلم فقلت: ألستَ نبىَّ الله حقا؟ قال: بلى . قلت: ألسنا على الحق و عدونا على الباطل؟ قال: بلى! قلت: فلم نُعطى الدنيئة[3] فى ديننا اذن؟ قال: انى رسول الله و لست أعصيه و هو ناصرى . قلت: أو ليس كنت تحدثنا انا سنأتى البيت فنطوف به؟ قال: بلى! فأخبرتك انا نأتيه العام؟ قلت: لا . قال: فانك آتيه و مطوّف به . قال: فأتيت ابابكر فقلت: يا ابا بكر! أليس هذا نبى الله حقا؟ قال: بلى! قلت: ألسنا على الحق و عدونا على الباطل؟ قال: بلى! قلت: فلم نُعطى الدنيئة فى ديننا اذن؟ قال: ايها الرجل! انه رسول الله و ليس يعصى ربه و هو ناصره فاستمسك بغَرزه[4] فوالله انه على الحق . قلت: أليس كان يحدثنا

---

(١) رسف كنصر وضرب رسفا و رسيفا و رسفانا مشى مشية المقيد (٢) اى امض لى فعلى فيه فلا اردده اليك او استثنه من القضية (٣) النقيصة (٤) ركاب الرجل من جلد ج غروز واستمسك بغرزه اى صاحبه و لا تخالفه .

انا سنأتى البيت و نطوف به؟ قال: بلى! أفأخبرك انك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فانك آتيه و مطوف به.

قال الزهرى: قال عمر: فعملت لذلك أعمالا[1].

قال: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا. قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات. فلما لم يقم منهم احد دخل على ام سَلَمة فذكر لها ما لقى من الناس. فقالت ام سلمة: يا نبى الله! أتحب ذاك؟ اخرج ثم لا تكلم احدا منهم كلمة حتى تنحر بُدنك و تدعو حالقك فيحلقك. فخرج فلم يكلم احدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بُدنه و دعا حالقه فحلقه. فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا و جعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غمّا. ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ—حتى بلغ—بِعِصَمِ[2] الْكَوَافِرِ. فطلق عمر يومئذٍ امرأتين كانتا له فى الشرك فتزوّج احداهما معاوية بن ابى سفيان، و الأخرى صفوان بن أميّة.

ثم رجع النبى صلى الله عليه و سلم الى المدينة فجاءه ابو بصير رجل من قريش و هو مسلم فأرسلوا فى طلبه رجلين فقالوا: العهد الذى جعلت لنا، فدفعه الى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحُلَيفة[3] فنزلوا يأكلون من عُدتهم[4]. فقال ابو بصير لأحد الرجلين: و الله انى لأرى سيفك هذا يا فلان

(١) اى عملت لذلك التوقف فى الامتثال الذى فرط منى اعمالا صالحة لتكفر عنى.
(٢) جمع عصمة اى بما يعتصم به الكافرات من عقد و سبب (٣) قرية بينها و بين مكة ستة اميال او سبعة و منها ميقات اهل المدينة (٤) ما اعددته لحوادث الدهر من مال و سلاح ج عُدد.

جيدا ، فاستلّه[1] الآخر . فقال : أجل، و الله انه لجيّد لقدجرّبت به ثم جرّبت . فقال ابو بصير : ارنى انظر اليه ! فأمكنه منه فضربه حتى برد و فرّ الآخر حتى أتى المدينة ، فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم حين رآه : لقد رأى هذا ذُعرا[2] . فلما انتهى الى النبي صلى الله عليه و سلم قال : قُتِل و الله صاحبي و إنى لمقتول . فجاء ابو بَصير فقال : يا نبي الله ! قد و الله اوفى[3] الله ذمتك قد رددتنى اليهم ثم انجانى الله منهم . قال النبي صلى الله عليه و سلم ويل امه مِسْعَرَ[4] حرب لو كان له أحد[5] . فلما سمع ذلك عرف انه سيردّه اليهم فخرج حتى اتى سِيف[6] البحر . قال : و ينفلت[7] منهم ابو جندل بن سُهَيل فلحق بأبي بَصير فجعل لا يخرج من قريش رجل قد اسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عِصابة[8] . فو الله ! ما يسمعون بِعِير[9] خرجت لقريش الى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم و أخذوا اموالهم . فأرسلت قريش الى النبي صلى الله عليه و سلم تناشده[10] الله و الرّحِم لما ارسل فمن اتاه فهو آمن . فأرسل النبي صلى الله عليه و سلم اليهم فأنزل الله : وَهُوَ الَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ – حتى بلغ – حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ . و كانت حميتهم انهم لم يُقِرّوا انه نبي الله و لم يُقِرّوا ببسم الله الرحمن الرحيم و حالوا بينهم و بين البيت .

---

(١) سَلّ كنصر سلا واستلّ الشيء من الشيء انتزعه و أخرجه برفق (٢) خوفا . (٣) أتمّ (٤) بالكسر موقد النار يقال هو مسعر حرب اى مثيرها و محركها (٥) اى لو قدر له احد ان ينصره (٦) بكسر السين اى الساحل (٧) يتخلّص (٨) الجماعة من الرجال او الخيل او الطير ج عصائب (٩) القافلة (١٠) ناشده حلّفه . ناشده الأمر و فى الأمر اى طلبه اليه .

و قال عقيل عن الزهري : قال عُروة : فأخبرتني عائشة ان رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يمتحنهن و بلغنا انه لما انزل الله ان يردوا الى المشركين ما انفقوا على من هاجر من ازواجهم و حكم على المسلمين ان لا يمسكوا بعصم الكوافر ان عمر طلق امرأتين : قُرَيبة بنت ابى أُمية و بنت جرول الخزاعى، فتزوج قُريبة معاوية و تزوج الأخرى ابو جهم، فلما أبى الكفار ان يُقرّوا بأداء ما انفق المسلمون على ازواجهم انزل: وَ اِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ اَزْوَاجِكُمْ اِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ – و العَقْب ما يؤدى المسلمون الى من هاجرت امرأته من الكفار – فأمر ان يعطى من ذهب له زوج من المسلمين ما انفق من صَداق[1] نساء الكفار اللاتى هاجرن، و ما نعلم ان اَحدًا من المهاجرات ارتدّت بعد ايمانها و بلغنا ان ابا بصير بن اَسيد الثقفى قدم على النبى صلى الله عليه وسلم مؤمنا مهاجرا فى المدة فكتب الأخنس بن شَرِيق الى النبى صلى الله عليه و سلم يسأله ابا بصير – فذكر الحديث – ٢ .

على وفاة الرّسول صلى الله عليه وسلم

دخل ابو بكر الصديق[٣] رضى الله عنه على النبى عليه الصلاة و السلام

---

(١) المهرج اَصدِقة وصُدق (٢) الجامع الصحيح للبخارى الجزء الأول باب الشروط فى الجهاد والمصالحة مع اهل الحرب (٣) هو امير المؤمنين ابو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه السابق الى الاسلام وثانى اثنين اذ هما فى الغار وخليل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم و ولى الاسلام بعد النبى صلى الله عليه وسلم كما يدل عليه قوله "اينقص و أنا حى" و كافل المسلمين اليتامى بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم توفى سنة ١٣، و كلامه من خطب و رسائل و وصايا مرآة لسيرته وخلقه، صدق مع غريمه و رفق فى غير ضعف .

و هو مسجّى[1] بثوب فكشف عنه الثوب و قال:

بأبي انت و أمي! طبت حيّا، و طبت ميتا، و انقطع لموتك ما لم ينقطع لموت احد من الأنبياء من النبوة، فعظمت عن الصفة و جللت عن البكاء، و خصصت حتى صرت مسلاة[2]، و عممت حتى صرنا فيك سواء[3]، و لو لا ان موتك كان اختيارا[4] منك لجدنا لموتك بالنفوس، و لو لا انك نهيت عن البكاء لأنفدنا[5] عليك ماء الشؤون[6]. فأما ما لا نستطيع نفيه عنا فكمد[7] و إدناف[8] يتخالفان[9] و لا يبرحان، اللهم فأبلغه عنا السلام، اذكرنا يا محمد عند ربك، و لنكن من بالك، فلو لا ما خلفت من السكينة لم نقم لما خلفت من الوحشة، اللهم ابلغ نبيك عنا و احفظه فينا.

ثم خرج الى الناس و هم فى شديد غمراتهم[10] و عظيم سكراتهم[11]،

---

(١) سجّى الميت اى مد عليه ثوبا (٢) ما يبعث على السلو و المعنى انك يا رسول الله قد صرت بموتك مسلاة للناس فانك ما اختصصت به من مناقب النبوة و قد نزل بك الموت فللعباد فيك اسوة حسنة (٣) اى عمت المصيبة لفقدك جميع المسلمين فصرنا نحن و قرابتك سواء فى الحزن عليك و التفجع لك (٤) يشير الى قوله عليه الصلاة و السلام "لم يقبض نبى حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير" قالت عائشة رضى الله عنها فسمعته و قد شخص بصره و هو يقول "فى الرفيق الأعلى" فعلمت انه خير فعلمت انه لا يختارنا اذن و قلت هو الذى كان يحدثنا و هو صحيح (٥) افنينا (٦) جمع شأن و هو مجرى الدمع من العين (٧) الحزن و الغم الشديد (٨) دنف المريض كفرح و أدنف ثقل مرضه و دنا من الموت و دنفت الشمس و أدنفت اى دنت للغروب و اصفرت (٩) اى يجيئان مرة بعد اخرى (١٠) غمرة الشىء شدته و مزدحمه ج غمرات و غمار و غُمَر و غمرات الموت مكارهه و شدائده (١١) جمع سكرة و سكرة الموت او الهم شدته و غشيته.

فخطب خطبة قال فيها:

اشهد أن لا الـه إلا الله وحده لا شريك له ، و أشهد أن سيدنا محمدًا عبده و رسوله ، و أشهد أن الكتاب كما نزل ، و أن الدين كما شرع ، و أنَ الحديث كما حدّث ، و أن القول كما قال ، و أن الله هو الحق المبين – فى كلام طويل ثم قال:

ايها الناس ! من كان يعبد محَمدا فان محمدا قد مات ، و من كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ، و أن الله قد تقدم اليكم فى امره فلا تدعوه جزعا ، و أن الله قد اختار لنبيّه ما عنده على ما عندكم و قبضه الى ثوابه ، و خلف فيكم كتابه و سنة نبيه فمن اخذ بهما عرف و من فرق بينهما انكر . يا ايها الذين آمنوا ! كونوا قوامين بالقسط[1] و لا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم و لا يفتننكم[2] عن دينكم فعاجلوه بالذى تعجزونه و لا تستنظروه[3] فيلحق بكم–٤ .

شقاوة الملوك

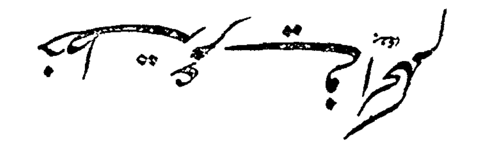
خطب ابو بكر رضى الله عنه فقال:

ان اشقى الناس فى الدنيا و الآخرة الملوك . فرفع الناس رؤسهم فقال: ما لكم يا معشر الناس ! انكم لطعّانون عجلون . ان من الملوك من اذا ملك زهده الله فيما فى يده ، و رغبه فيما فى يدى غيره ، و انتقصه[5] شطر[6] أجله ، و أشرب قلبه الإشفاق[7] . فهو يحسد على القليل ، و يتسخط[8] الكثير ، و يسأم الرخاء[9] ، و تنقطع عنه لذة البهاء ، لا يستعمل العبرة ،

---

(١) العدل (٢) لا يوقعكم فى الفتنة (٣) لا تستمهلوه (٤) زهر الآداب (٥) نقصه .
(٦) الجزء (٧) الخوف (٨) تسخط عطاءه استقله و لم يقع منه موقعا حسنا .
(٩) بالفتح سعة العيش و بالضم الريح اللينة التى لا تحرك شيئا .

 و لا يسكن



و لا تضربوهم فتذلّوهم، و لا تحمدوهم فتفتنوهم، و لا تغلقوا الأبواب دونهم فيأكل قويّهم ضعيفهم، و لا تستأثروا[1] عليهم فتظلموهم، و لا تجهلوا عليهم؛ و قاتلوا بهم الكفار طاقتهم فاذا رأيتم بها كلالة[2] فكفوا عن ذلك فان ذلك ابلغ فى جهاد عدوكم . ايها الناس! انى اشهدكم على امراء الأمصار انى لم ابعثهم إلا ليفقهوا الناس فى دينهم و يقسموا عليهم فيئهم و يحكموا بينهم، فان اشكل[3] عليهم شىء رفعوه الىّ .

منشور القضاء

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر امير المؤمنين الى عبد الله ابن قيس . سلام عليك! اما بعد! فان القضاء فريضة محكمة و سنة متبعة، فافهم اذا أُدلِى[4] اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ[5] له. آس[6] بين الناس فى مجلسك و وجهك حتى لا يطمع شريف فى حيفك[7] و لا يخاف ضعيف من عدلك . البينة على من ادّعى و اليمين على من انكر، و الصلح جائز بين المسلمين إلا صلحا حرّم حلالا او أحلّ حراما . و لايمنعك قضاء قضيته اليوم فراجعت فيه نفسك، و هديت فيه لرشدك، ان ترجع عنه فان الحق قديم و مراجعة الحق خير من التمادى[8] فى الباطل، الفهمَ، الفهمَ عند ما تلجلج[9] فى صدرك مما ليس يبلغك فى كتاب الله و لا سنة النبى صلى الله عليه و سلم! اعرف الأمثال و الأشباه و قس الأمور عند ذلك ثم اعمد الى احبّها الى الله

---

(١) استأثر بالشىء على الغير اى استبد به و خص به نفسه (٢) الضعف و الإعياء . (٣) التبس (٤) ادلى الى فلان اى تخوصم اليه (٥) الإجراء (٦) سوّ (٧) جورك و ظلمك (٨) تمادى فى غيه اى دام على فعله و لج (٩) تردد .

و أشبهها بالحق فيما ترى، و اجعل للمدعى حقا غائبا أو بيّنة امدا ينتهى اليه، فان احضر بينته اخذت له بحقه و إلا وجهت عليه القضاء فانه انفى للشك و أجلى[1] للعمى و أبلغ فى العذر. المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلودا[2] فى حد، او مجرّبا عليه شهادة زور، او ظنينا[3] فى ولاء او قرابة، فان الله قد تولى منكم السرائر[4] و درأ[5] عنكم بالشبهات. و إياك و القلق و الضجر[6]، و التأذى بالناس، و التنكر[7] للخصوم فى مواطن الحق التى يوجب الله به الأجر و يحسن به الذخر، فانه من يخلص نيّته فيما بينه و بين الله تبارك و تعالى و لو على نفسه يكفه الله ما بينه و بين الناس، و من تزيّن للناس بما يعلم الله خلافه هتك[8] الله ستره و أبدى فعله، و السلام عليك! – ۹.

الأصحاب الحاضرون

تحدث ابن عائشة فى اسناد ذكره ان عليا[10] رضى الله عنه انتهى اليه ان خيلا[11] لمعاوية وردت الأنبار[12] فقتلوا عاملا له يقال له حسان بن حسان،

---

(۱) اكشف (۲) مضروبا (۳) متهما (٤) جمع سريرة اى السر الذى يكتم (٥) دفع بابه فتح (٦) السآمة و الملل بابه سمع (۷) تنكر لفلان اى صار غريبا عنده (۸) خرق بابه ضرب (۹) البيان و التبيين (۱۰) امير المؤمنين سيدنا على بن ابى طالب كرم الله وجهه و رضى الله عنه حكيم الإسلام و خطيبه و فارسه، و وارث رسول الله صلى الله عليه و سلم فى الأدب والبلاغة والعلم بلا خلاف، وإمامته فى ذلك لم تنازع قط. اخطب المسلمين وإمام المنشئين وأحد اصحاب الأساليب والمذاهب فى الإنشاء وآثاره الأدبية من خطب وكتب و حكم – ماصح منها – جمال اللغة العربية وبدائع النثر العربى و موضوع دراسة الأديب و الباحث. توفى شهيدا سنة ٤٠ ه‍.
(۱۱) جماعة الأفراس ج خيول وأخيال و تستعمل على المجاز للفرسان و ركّاب الخيل يقال " ابى بخيله و رجله " اى بفرسانه و مشاته (۱۲) مدينة على الفرات فى غربى بغداد بينهما عشرة فراسخ.

فخرج مغضبا يجر ثوبا حتى اتى النخيلة[١] و أتبعه الناس فرقى[٢] رباوة[٣] من الأرض، فحمد الله و أثنى عليه و صلى على نبيه صلى الله عليه و سلّم، ثم قال:

اما بعد! فان الجهاد باب من ابواب الجنة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله الذل و سيما الخسف[٤] و دُيّث[٥] بالصغار[٦] و قد دعوتكم الى حرب هؤلاء القوم ليلا و نهارا، سرا و إعلانا، و قلت لكم: اغزوهم من قبل ان يغزوكم، فوالذى نفسى بيده! ما غزى قوم قط فى عقر[٧] دارهم إلا ذلّوا فتخاذلتم[٨] و تواكلتم[٩] و ثقل عليكم قولى و اتّخذتموه وراءكم ظهريّا[١٠] حتى شنّت[١١] عليكم الغارات هذا اخو غامد[١٢] قد وردت خيله الأنبار و قتلوا حسّان بن حسّان و رجالا منهم كثيرا و نساء. و الذى نفسى بيده! لقد بلغنى انه كان يدخل على المرأة المسلمة و المعاهدة فتنتزع احجالهما[١٣] و رُعثها[١٤] ثم انصرفوا موفورين[١٥] لم يكلم[١٦] احد منهم كلما، فلو أن امرأ مسلما مات من دون هذا اسفا ما كان عندى فيه ملومًا بل كان به عندى جديرا. يا عجبا كل العجب! عجب يميت القلب و يشغل الفهم و يكثر الأحزان من تظافر[١٧]

---

(١) مصغرا موضع بالبادية (٢) رقى كفرح رَقْيا و رُقيّا الجبل و فيه و إليه صعد.
(٣) بالتثليث الرابية و هى ما ارتفع من الأرض (٤) النقيصة و الذل (٥) ديّثه اى ذلّله.
(٦) الذل و الضيم (٧) وسط الدار (٨) ترك بعضكم بعضا (٩) اتكل بعضكم على بعض.
(١٠) ما تجعله وراء ظهرك و تنساه ج ظهارى (١١) شنّ الغارة عليهم وجّهها عليهم من كل جهة (١٢) هو سفيان بن عوف من بنى غامد قبيلة من اليمن من ازد شنوءة بعثه معاوية لشن الغارات على اطراف العراق تهويلا على اهله (١٣) جمع حجل الخلخال.
(١٤) الرعثة بالفتح و بفتحتين القرط ج رعاث جج رُعُث (١٥) السالمين و المتكثرين.
(١٦) لم يجرح (١٧) الاجتماع و التعاون.

هؤلاء القوم على باطلهم و فشلكم[1] عن حقكم حتى اصبحتم غرضا[2] تُرمون و لاترمُون، و يغار عليكم و لاتغيرون و يعصى الله فيكم و ترضون . اذا قلت لكم اغزوهم فى الشتاء قلتم هذا اوان[3] قُرّ[4] و صِرّ[5]، و إن قلت لكم اغزوهم فى الصيف قلتم هـذه حمارة[6] القيظ[7]، انظِرْنا[8] ينصرم[9] الحر عنا . فاذا كنتم من الحر او البرد تفرون فأنتم و الله من السيف افرّ، يا اشباه الرجال و لا رجال و يا طغام الأحلام و يا عقول ربات الحجال[10]! و الله! لقد افسدتم علىّ رأيى بالعصيان، و لقد ملأتم جوفى غيظًا حتى قالت قريش: ابن ابى طالب رجل شجاع و لكن لا رأى له فى الحرب . لله درهم! و من ذا يكون اعلم بها منى او أشد لها مراسا[11]! فو الله! لقد نهضت[12] فيها و ما بلغت العشرين، و لقد نيّفت[13] اليوم على الستين و لكن لا رأى لمن لايطاع – يقولها ثلاثا – ١٤ .

الاخوان الذاهبون

و من خَطب على كرم الله وجهه – و قد قام اليـه رجل من اصحابه – فقال: نهيتنا عن الحكومة ثم امرتنا بها فلم ندر اى الأمرين ارشد، فصفّق[15]

---

(١) الضعف والجبن عند حرب او شدة (٢) الهدف ج اغراض (٣) الوقت . (٤ و ٥) شدة البرد (٦) شدة الحر ج حمارّ (٧) صميم الصيف ج اقياظ و قيوظ . (٨) امهلنا (٩) ينقطع (١٠) جمع حجلة اى ستر يضرب للعروس فى جوف البيت . (١١) مارس الأمر مراسا و ممارسة عالجه و زاوله و عاناه و شرع فيه (١٢) قمت . (١٣) نيّف اى زاد (١٤) الكامل للمبرد، البيان و التبيين، نهج البلاغة؛ و اللفظ للكامل (١٥) التصفيق ضرب بباطن الراحة على باطن الأخرى .

عليه السلام احدى يديه على الأخرى ثم قال :

هذا جزاء من ترك العقدة[١] ، اما و الله لو أنى حين امرتكم بما امرتكم به حملتكم على المكروه الذى يجعل الله فيه خيراً ؛ فان استقمتم هديتكم ، و إن اعوججتم قوّمتكم ، و إن ابيتم تداركتكم[٢] ، لكانت الوثقى . و لكن بمن و إلى من ؟ اريد ان اداوى بكم و أنتم دائى كناقش[٣] الشوكة[٤] بالشوكة و هو يعلم ان ضلعها[٥] معها ، اللّهُمّ قد ملّت[٦] اطباء هذا الداء الدوىّ[٧] و كلّت[٨] النزعة[٩] بأشطان[١٠] الركىّ[١١] ، اين القوم الذين دُعوا الى الاسلام فقبلوه ، و قرأوا القرآن فأحكموه ، و هيجوا[١٢] الى القتال فولهوا[١٣] وله اللقاح[١٤] الى اولادها ، و سلوا[١٥] السيوف اغمادها ، و أخذوا بأطراف الأرض زحفا زحفا و صفّا صفّا ؛ بعض هلك ، و بعض نجا ، لا يُبَشَّرُنّ بالأحياء ، و لا يعزون بالموتى ، مُره[١٦] العيون من البكاء ، خمص[١٧] البطون من الصيام ، ذُبّل[١٨]

---

(١) البيعة المعقودة للولاة (٢) اصلحت شأنكم (٣) المستخرج (٤) ما يخرج من النبات شبيها بالابر (٥) الميل و العوج (٦) ملّ كفرح مللا و ملالا و ملّة و ملالة الشيء و من الشيء سئمه و ضجر منه (٧) المريض (٨) كل كضرب كلّا و كلّة و كلالا و كلولا و كلالة و كُلولة تعب و أعيا (٩) جمع النازع نزع الدلو و بالدلو جذبها و استقى بها (١٠) جمع شطن و هو الحبل (١١) جمع ركيّة و هى البئر ذات الماء ج ركايا و ركىّ (١٢) التهييج الاثارة و البعث (١٣) وله كضرب و سمع ولهاً حزن شديداً حتى كاد يذهب عقله ، تحير من شدة الوجد (١٤) جمع اللقوح الناقة الحلوب الغزيرة اللبن (١٥) سلّ كنصر سلّا الشيء من الشيء انتزعه و أخرجه برفق (١٦) مرهت كفرح مرهاً عينه فسدت و ابيضت بواطن اجفانه لترك الكحل فهو مره و أمره (١٧) خمص كنصر و فرح و كرم خمصا و خموصا و مخمصة البطن فرغ و ضمر (١٨) جمع ذابل ذبل كنصر و كرم ذبولا و ذبلا لسانه او شفته جف .

الشفاه[1] من الدعاء، صفر الألوان من السهر، على وجوههم غبرة[2] الخاشعين.

اولئك اخوانى الذاهبون! فحق لنا ان نظمأ[3] اليهم و نعضّ[4] الأيدى على فراقهم – ٥.

خطبة زياد بن أبيه[6]

اما بعد! فان الجهالة الجهلاء، و الضلالة العمياء، و الغىّ الموفى بأهله على النار، ما فيه سفهاؤكم، و يشتمل عليه حلماؤكم[7]، من الأمور العظام، ينبت فيها الصغير و لايتحاشى[8] عنها الكبير. كأنكم لم تقرؤا كتاب الله، و لم تسمعوا ما اعدّالله من الثواب الكريم لأهل طاعته، و العذاب الأليم لأهل معصيته، فى الزمن السرمدى الذى لا يزول. أ تكونون كمن طرفت[9] عينيه الدنيا، و سدت مسامعه الشهوات، و اختار الفانية على الباقية؟ و لا تذكرون انكم احدثتم فى الاسلام الحدث الذى لم تسبقوا اليه: من ترككم الضعيف يقهر، و الضعيفة[10] المسلوبة بالنهار لا تنصر، و العدد

(١) جمع شفة ما يطبق على فمه و يستر اسنانه (٢) لون الغبار (٣) ظمئ كفرح ظمأ وظمأً وظماء و ظماءةً اليه اشتاق (٤) عضه كفرح عضا وعضيضا امسكه بأسنانه. (٥) نهج البلاغة (٦) من نوابغ العرب و دواهيها و من اخطب الخطباء و أشهر السياسيين و الاداريين فى العصر الاسلامى الأموى، خطب يوما بين يدى عمر فى حضرة المهاجرين و الأنصار خطبة لم يسمعوا مثلها و استحان بعقله و كفايته عمر و على بعده و معاوية بعدهما فكان فوق المنتظر و هو من اقوى العمد التى قام عليها عرش بنى امية كانت وفاته سنة ٥٣هـ (٧) اى عقلاؤكم (٨) لا يحترز ولا يجتنب (٩) طرف كضرب طرفا عينه اى اصابها بشىء فدمعت (١٠) كانت المرأة من اهل البلد يأخذها الفتيان الفساق و يقولون لها نادى ثلاثة اصوات فان اجابك احد و إلا فلا لوم =

غير

غير قليل، و الجمع غير مفترق، ألم يكن منكم نهاة[١] يمنعون الغواة[٢] عن دلج[٣] الليل و غارة النهار؟ قرّبتم القرابة، و باعدتم الدين. تعتذرون بغير العذر، و تغضون على النكر، كل امرئ منكم يرد عن سفيهه، صنيع من لا يخاف عاقبة و لا يرجو معادا. ما انتم بالحلماء، و لقد اتبعتم السفهاء، فلم يزل بكم ما ترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الاسلام. ثم اطرقوا[٤] وراءكم كنوسا[٥] فى مكانس[٦] الريب. حرام عليّ الطعام و الشراب حتى اسويها بالأرض هدما و إحراقا. انى رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به اوله: لين فى غير ضعف، و شدة فى غير عنف[٧]. و إنى لأقسم بالله لآخذن الولى بالمولى، و المقيم بالظاعن، و المطيع بالعاصى، و الصحيح بالسقيم، حتى يلقى الرجل اخاه فيقول: انج سعد فقد هلك سُعيد[٨]!

= علينا فيما نصنع فبلغ ذلك زيادا فغضب و أمهلهم شهرا ثم دعا عبد الله بن حصين اليربوعى صاحب شرطة وأمره ان يأتى برأس كل من لقيه خارج منزله بعد العشاء الأخيرة و لوكان ابنه فجاءه فى اول ليلة بسبع مائة رأس و فى الثانية بخمسين رأسا و فى الثالثة برأس واحد و كف الفساق عن المعاصى.

(١) جمع ناه بمعنى المانع (٢) جمع غاو اى الضال و المنقاد للهوى (٣) السير فى الليل.
(٤) يقال اطرق الصيد اى نصب له حبالة (٥) جمع كانس و هو الظبى يدخل فى كناسه و هو بيته و جمعه ايضا كُنّس و كوانس و المراد بها النساء (٦) المخابى و محال المنكر (٧) مثلثة مع سكون النون ضد الرفق الشدة و القساوة (٨) بالضم مصغرا، هذا مثل سائر؛ و أصله انه كان لضبة بن أُدّ ابنان سعد و سُعيد فخرجا يطلبان ابلا لها فرجع سعد و لم يرجع سعيد فكان ضبة اذا رأى سوادا تحت الليل قال سعد ام سعيد؟ هذا اصل المثل فأخذ ذلك اللفظ منه و صار مما يتشاءم به و هو يضرب مثلا فى العناية بذى الرحم و يضرب فى الاستخبار بين الأمرين الخير و الشر ايهما وقع.

او تستقيم[1] قناتكم . ان كذبة الأمير بلقاء[2] مشهورة ، فاذا تعلقتم على بكذبة فقد حلت لكم معصيتى ، فاذا سمعتموها منى فاغتمزوها[3] فىّ . و اعلموا ان عندى امثالها من نُقِب منكم عليه فأنا ضامن لما ذهب من ماله ، فاياى و دلج الليل ، فانى لا اوتى بمدلج[4] الا سفكت دمه ، و قد اجلتكم فى ذلك بمقدار ما يأتى الخبر الكوفة و يرجع اليكم . و إيّاى و دعوى الجاهلية ، فانى لا اجد احدا دعا بها إلا قطعت لسانه . و قد احدثتم احداثا لم تكن ، و قد احدثنا لكل ذنب عقوبة ، فمن اغرق قوما اغرقناه ، و من احرق قوما احرقناه ، و من نقب بيتا نقبنا عن قلبه ، و من نبش[5] قبرا دفناه فيه حيا ، فكفوا عنى ايديكم و ألسنتكم اكفف عنكم يدى و لسانى ، و لا تظهر من احدكم ريبة بخلاف ما عليه عامتكم إلا ضربت عنقه ، و قد كان بينى و بين قوم احن[6] ، فجعلت ذلك دبر اذنى[7] و تحت قدمى . انى لو علمت ان احدكم قد قتله السل[8] من بغضى لم اكشف له قناعا ، و لم اهتك له سترا ، حتى يبدى لى صفحته ، فاذا فعل ذلك لم اناظره . فاستأنفوا اموركم ، و أعينوا علىّ انفسكم ، فرب مبتئس[9] بقدومنا سيسر ، و مسرور بقدومنا سيبتئس .

ايها الناس ! انا قد اصبحنا لكم ساسة[10] ، و عنكم ذادة[11] ، نسوسكم

---

(١) كناية عن الصلاح يقال استقامت قناته اى صلح (٢) من كان فى لونها سواد و بياض يعنى ان كذب الأمير افتضح بكذبه و اشتهر عنه فان البلق يمتاز عن سائر الجسد فاذا ثبت لكم انى كذبت فلا طاعة لى عليكم (٣) اغتمزه اى طعن عليه (٤) اى الماشى فى الليل (٥) ابرز بابه نصر (٦) جمع احنة اى الحقد (٧) اى خلف اذنى كناية عن الترك اى فلم اصغ اليه و لم اعرج عليه (٨) بالكسر والضم الهزال وداء معروف. (٩) المحزون (١٠) جمع سائس وهو المدبر لأمور القوم (١١) جمع ذائد وهو الذافع.

[illegible]

خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي [1]

يا اهل العراق! ان الشيطان قد استبطنكم[2] فخالط اللحم والدم، و العصب[3] و المسامع و الأطراف و الشغاف[4]، ثم مضى الى[5] الأمخاخ و الأصماخ[5]، ثم ارتفع فعشش[6]، ثم باض و فرّخ[7]، فحشاكم[8] نفاقا و شقاقا، قد اتخذتموه دليلا تتبعونه، و قائدا تطيعونه، و مؤامرا[9] تستشيرونه. فكيف تنفعكم تجربة، او تعظكم وقعة، او يحجزكم[10] اسلام، او يردكم ايمان؟ ألستم اصحابى بالأهواز[11]، حيث رمتم المكر، و سعيتم بالغدر، و ظننتم ان الله يخذل دينه

---

(١) جلاد بنى امية و دعامة ملكهم كان لسنا سليطا قوى الحجة لا يكاد يعدله فى ذلك احد من اهل زمانه، قال مالك بن دينار "ما رأيت احدا ابين من الحجاج انه كان ليرقى المنبر فيذكر احسانه الى اهل العراق وصفحه عنهم و إساءتهم اليه حتى لأحسبه صادقا وأظنهم كاذبين" مع انه قتل منهم بالصبر مائة و عشرين الفا وتوفى فى سجونه خمسون الف رجل و ثلاثون الف امرأة. توفى عام ٩٥ هـ فى شهر رمضان و قيل فى شوال (٢) استبطن الشيء دخل بطنه واستبطنه اتخذه له بطانة اى خاصة (٣) بفتح الصاد اطناب منتشرة فى الجسم كله و بها تكون الحركة والحس ج اعصاب (٤) بالفتح غلاف القلب وحبته ج شغف و أشغفة (٥-٥) لعله اراد جمع مُخ وكذا الأصماخ جمع صِماخ لكنه لا يساعده اللغة لأن المخ و هو نقى العظم جمعه مِخاخ و مِخَخة، و الصماخ، وهو خرق الأذن الباطن الماضى الى الرأس جمعه صُمُخ و أصمِخة (٦) اى اتخذ عشا و هو موضع الطائر ج عِشاش و عِشَشة وأعشاش وعشوش (٧) فرخت الطائرة اى صارت ذات فرخ و هو ولد الطائر (٨) ملأ بابه نصر (٩) المشاور (١٠) يمنع بابه نصر وضرب (١١) تسع كور بين البصرة و فارس لكل كورة منها اسم ولكن لا تفرد باسم هوز.

و خلافته ؟ و أنا ارميكم بطرفى و أنتم تتسللون[١] لواذا[٢] ، و تنهزمون سراعًا.

و يوم الزاوية[٣]! و ما يوم الزاوية؟ بها كان فشلكم[٤] و تنازعكم و براءة الله منكم ، و نكوص[٥] وليه عنكم ، اذ وليتم كالابل الشوارد[٦] الى اوطانها ، النوازع[٧] الى اعطانها[٨] ، لا يسأل المرء منكم عن اخيه ، و لا يلوى[٩] الشيخ على بنيه حتى عضّكم السلاح و قصمتكم[١٠] الرماح .

و يوم دير الجماجم[١١] ! و ما يوم دير الجماجم ؟ بها كانت المعارك[١٢] و الملاحم[١٣] ، بضرب يزيل الهام[١٤] عن مقيله[١٥] ، و يذهل الخليل عن خليله .

يا اهل العراق! اهل الكفرات و الغدرات و الثورة بعد الثورات! ان ابعثكم الى ثغوركم[١٦] غللتم[١٧] و خنتم ، و إن امنتم ارجفتم[١٨] ، و إن خفتم نافقتم ، لا تذكرون حسنة ، و لا تشكرون نعمة ، هل استخفكم[١٩] ناكث ، او استغواكم غاو ، او استنصركم ظالم ، او استعضدكم[٢٠] خالع الا وثقتموه

---

(١) تسلل و انسل من الزحام انطلق فى استخفاء (٢) اى تهربون مستخفين ومستترين بعضكم ببعض (٣) مكان كانت به وقائع بين الحجاج وابن الأشعث (٤) الجبن عند حرب او شدة بابه سمع (٥) نكص كنصر وضرب نكصا ونكوصا ومنكصا عن الأمر احجم وكف عنه (٦) جمع شاردة وهى النافرة بابه نصر (٧) جمع نازعة نزع كفتح نزاعا ونزوعا الى اهله اى اشتاق (٨) جمع عطن مبرك الابل حول الماء (٩) لا ينعطف و لا يعرج (١٠) كسرت بابه ضرب (١١) مكان كانت به وقائع بين جيوش الحجاج و بين عبد الرحمن بن الأشعث (١٢) مواضع القتال (١٣) جمع ملحمة وهى الموقعة العظيمة القتل فى الحرب (١٤) جمع هامة اى رأس كل شىء (١٥) المقر و المكان . (١٦) جمع ثغر وهو المكان الذى يخاف منه هجوم العدو (١٧) سرقتم (١٨) اى خضتم فى الأخبار السيئة والفتن قصد ان تهيجوا الناس (١٩) استخفه استجهله وأزاله عن الحق والصواب (٢٠) استنصر .

اخوف عندى على الناس من مكيدة عدوهم . و إنما نعادى عدونا و ننصر عليهم بمعصيتهم . و لو لا ذلك لم يكن لنا قوة بهم ، لأن عددنا ليس كعددهم ، و لا عدّتنا كعدتهم . فلو استوينا نحن و هم فى المعصية كانوا افضل منا فى القوة و العدد فان لا ننصر عليهم بحقنا لا نغلبهم بقوتنا . و لا تكونوا لعداوة احد من الناس احذر منكم لذنوبكم ، و لا تكونوا بالقدرة لكم أشد تعاهدا منكم لذنوبكم . و اعلموا ان معكم من الله حفظة عليكم يعلمون ما تفعلون فى مسيركم و منزلكم ، فاستحيوا منهم ، و أحسنوا صحابتهم ، و لا تؤذوهم بمعاصى الله و أنتم زعمتم فى سبيل الله . و لا تقولوا ان عدونا شر منا فلن يسلطوا علينا و إن اذنبنا ، فرب قوم قد سلط عليهم شر منهم بذنوبهم فاسألوا الله العون على انفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوكم ، و أسأل الله ذلك لنا و لكم.

و أمره ان يرفق بمن معه فى سفرهم ، و لا يجشّمهم[1] مسيرا يتعبهم فيه ، و لا يقصر بهم عن منزل يرفق بهم حتى يلقوا عدوهم و السفر لم ينقص قوتهم ، فانما يسيرون الى عدوّ مقيم جامّ الأهبة و الكُراع[2] فان لا يرفقوا بأنفسهم و كُراعهم فى مسيرهم يكن لعدوهم فضل فى القوة عليهم باقامتهم فى جمام[3] الأنفس و الكُراع و الله المستعان .

و أمره ان يقيم و من معه فى كل جمعة يوما و ليلة يكون لهم راحة يجمّون فيها انفسهم و كراعهم و يرمّون اسلحتهم و أمتعتهم .

و أمره ان ينحى منزله عن قرى الصلح فلا يدخلها احد من اصحابه

(١) لا يكلفهم (٢) اسم يطلق على الخيل و البغال و الحمير (٣) اى الاستراحة .

لسوقهم

[illegible]

و سلامة أديانهم و تخفيف أواصر الأوزار عنهم حتى قبضه الله اليه صلى الله عليه و سلم ناصحا ، متنصحا ، أمينا ، مأمونا . قد بلغ الرسالة ، و أدى النصيحة ، و قام بالحق ؛ و عدّل عمود الدين حتى اعتدل ميله ، و أذل الشرك و أهله ، و أنجز الله له وعده و أراه صدق اسبابه فى إكماله للمسلمين دينه و استقامة سنته فيهم و ظهور شرائعه عليهم ، قد أبان لهم موبقات الأعمال و مقطعات الذنوب و مهبطات الأوزار و ظلم الشبهات و ما يدعو إليه نقصان الأديان و تستهويهم[1] به الغوايات ، و أوضح لهم أعلام الحق ، و منازل المراشد ، و طرق الهدى ، و أبواب النجاة ، و معالق العصمة ، غير مدخر لهم نصحا و لا مبتغ[2] فى إرشادهم غنما .

فكان مما قدم اليهم فيه نهيه و أعلمهم سوء عاقبته و حذرهم إصره ، و أوعز إليهم ناهيا و واعظا و زاجرا الاعتكاف على هذه التماثيل من الشطرنج و المواصلة عليها لما فى ذلك من عظيم الإثم ، و موبق الوزر مع مشغلتها عن طلب المعاش و إضرارها بالعقول ، و منعها من حضور الصلوات فى مواقيتها مع جميع المسلمين . و قد بلغ أمير المؤمنين أن ناسا ممن قبلك من أهل الاسلام قد ألهجهم الشيطان بها ، و جمعهم عليها ، و ألف بينهم فيها ، فهم معتكفون عليها من لدن صبحهم الى ممساهم ملهية لهم عن الصلوات ، شاغلة لهم عما امروا به من القيام بسنن دينهم ، و افترض عليهم من شرائع أعمالهم مع مداعبتهم[3] فيها و سوء لفظهم عليها ؛ و إن ذلك من فعلهم ظاهر فى الأندية[4] و المجالس ، غير منكر و لا معيب و لا مستفظع[5]

---

(1) تذهب بهواهم و عقلهم و تحيرهم (2) اى طالب (3) ممازحتهم (4) جمع النادى وهو المجلس ما داموا مجتمعين فيه (5) مستقبح [illegible]

عند أهل الفقه و ذوى الورع و الأديان و الأسنان منهم . فأكبر أمير المؤمنين
ذلك و أعظمه و كرهه و استكبره، و علم أن الشيطان عند ما يأس منه
من بلوغ ارادته فى معاصى الله عز و جل بمصر المسلمين و مجمعهم صراحا
و جهارا أقدم بهم على شبهة مهلكة، و زين لهم ورطة[1] موبقة[2]، و غرهم
بمكيدة حيله ارادة لاستهوائهم بالخدع، و اجتيالهم[3] بالشبه و المراصد الخفية
المشكلة؛ و كل مقيم على معصية الله صغرت اوكبرت مستحلا لها مشيدا بها
مظهرا لارتكابه إياها غير حذر من عقاب الله عز و جل عليها و لا خائف
مكروها فيها و لا رعب من حلول سطوته عليها حتى تلحقه المنية فتختلجه
و هو مصر عليها غير تائب إلى الله منها، و لا مستغفر من ارتكابه إياها .
فكم أقام على موبقات الآثام و كبائر الذنوب حتى مد به مخرم أيامه .

و قد احب امير المؤمنين ان يتقدم اليهم فيما بلغه عنهم و أن ينذرهم
و يوعز اليهم و يعلمهم ما فى أعناقهم عليها و ما لهم فى قبول ذلك من الحظ
و عليهم فى تركه من الوزر فآذن بذلك فيهم و أشده فى أسواقهم و جميع
أنديتهم و أوعز اليهم فيه و تقدم إلى عامل شرطتك فى إنهاك[4] العقوبة لمن
رفع اليه من أهل الاعتكاف عليها و الإظهار للعب بها و إطالة حبسه فى
ضيق وضنك، و طرح اسمه من ديوان أمير المؤمنين و أفطمهم عما نهجوا به
من ذلك، و التمس بشدتك عليهم فيه، و إنهاكك بالعقوبة عليه ثواب الله
و جزاءه و اتباع أمير المؤمنين و رأيه؛ و لا يجدن أحد عندك هوادة[5]
فى التقصير فى حق الله عز و جل و التعدى لأحكامه فتحل بنفسك ما يسوءك

(١) كل امر تعسر النجاة منه (٢) مهلكة (٣) اجتالهم حوّلهم عن طريق قصدهم.
(٤) اى المبالغة فى العقوبة (٥) اللين و الرفق .

محاتد[١] ارومات[٢] البريّة[٣] اصلا ، و أعلى ذوائب[٤] نبعات[٥] العرب فرعا ، و أطيب منابت اعياص[٦] قريش مغرسا ، و أرفع ذُرى[٧] مجد بنى هاشم سمكا[٨] ؛ محمد صلى الله عليه و آله و سلم خيرها عند الله و خلقه نفسا ، على حين اوحشت الأرضُ من اهل الاسلام و الايمان ، و امتلأت الآفاق من عبدة الأصنام و الأوثان ، و اشتعلت البدع فى الدين ، و أطبقت الظُّلم على الناس اجمعين ، و صار الحق رسما عافيا[٩] ، خلقا[١٠] باليا ، ميتا وسط اموات ، ما ان يُحِسُّون للهدى صوتا و لا للدّين اثرا يتّبعونه . فلم يزل رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قائما بأمر الله الذى أُنزل اليه ، يدعوهم الى توحيد الرب عزّ و جلّ ، و يحذّرُهم عقوبات الشرك ، و يجادلهم بنور البرهان ، و آيات القرآن ، و علامات الاسلام ، صابرا على الأذى ، محتملا للمكروه .

قد الهمه الله عزّ و جلّ انه مظهر دينه ، و مُعِز تمكينه ، و عاصمه و مستخلفه فى الأرض ، فليس يثنيه[١١] ريب ، و لا يلويه[١٢] هيب[١٣] ، و لا يعنيه اذى ، حتى اذا قهرت البيّنات ألبابهم ، و بهرت[١٤] الآيات ابصارهم ،

---

(١) جمع محتد و هو الأصل (٢) جمع ارومة و هى الأصل (٣) الخلق ج برايا (٤) جمع ذؤابة و هى من كل شى اعلاه (٥) جمع نبعة يقال هو من نبعة كريمة اى من اصل كريم (٦) اولاد امية بن عبد شمس الأكبر و هم العاص و أبو العاص و العيص و أبو العيص و العويص (٧) جمع ذروة بالضم و هى من كل شىء اعلاه (٨) بالفتح و السكون الرفع (٩) عفا يعفو عفوا وعفاءً و عفوّا الأثر و المنزل امّحى و درس و بلى (١٠) البالى للذكر و المؤنث يقال ثوب خلق و جبّة خلق ج اخلاق و خلقان. (١١) ثنى يثنى ثنيا اى صرف (١٢) لوى (واوية العين يائية اللام) يلوى ليًّا ولُويًّا اى ثناه و صرفه (١٣) الخوف (١٤) غلبت بابه فتح .

و خصم[١] نور الحق حجتهم، فلم تمتنع القلوب من المعرفة بدون صدقه، و لم تجد العقول سبيلا الى دفع حقه، و هم على ذلك مكذبون بأفواههم، جاحدون بأقوالهم؛ كما قال الله عز و جل العليم بما يُسرّون، الخابر بما يعلنون: (فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) بغيا و عداوة، و حسدا و لجاجة[٢]. افترض الله عليه قتالهم، و أمره ان يجرّد السيف لهم، و هم فى عصابة يسيرة، و عِدّة قليلة، مستضعفين مستذلّين، يخافون ان يتخطفهم العرب، و تداعى[٣] عليهم الأمم، و تستحملهم[٤] الحروب، فآواهم فى كنفه، و أيدهم بنصره، و أنذرهم بمقدمة من الرعب، و مشغلة من الحق، و جنود من الملائكة، حتى هزم كثيرا من المشركين بقلتهم، و غلب قوة الجنود بضعفهم، انجازا لوعده، و تصديقا لقوله: (وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ). فأحسن النظر و قلّب الفكر فى حالات النبى صلى الله عليه و سلم من الوحى قائما لله، لتجد لمذاهب فكرك و تصاريف نظرك، مضطربا واسعا، و معتمدا نافعا، و شعوبا جمة، كلها خير يدعوك الى نفسه، و بيان ينكشف لك عن محضه.

و أخبِر امير المؤمنين ما كنتَ قائلا لو لم تكن البعثة للنبى – صلى الله عليه و آله و سلم – بلغتْك، و لم تكن الإنباء بأموره تقررت قبلك، ثم قامت الحجة بالاجتماع عندك، و قالت الجماعة المختلفة لك: انه نجم[٥] بين ظهرانى مثل هذه الضلالات المستأصلة[٦] و الجماعات المستأسدة[٧]، التى ذكر امير المؤمنين

(١) خصمه كضرب خصما غلبه فى الخصومة (٢) لج كسمع و ضرب لججا و لجاجا و لجاجة عند فى الخصومة (٣) اصله تتداعى فحذفت احدى تائيه و معناه يجتمعون عليهم و يتالبون بالعداوة (٤) تلقى عليهم حملها و عبأها (٥) نجم الشيء نجوما ظهر و طلع بابه نصر (٦) الثابتة (٧) القوية.

من قبائل العرب، و جماهير الأمم، و صناديد[1] الملوك، ناجم قد نصب[2] لها و غَرِى[3] بها، يجهّل احلامها، و يكفّر اسلافها، و يفرّق أُلافها، و يلعن آباءها، و يضلّل اديانها، و ينادى بشهاب الحق بينها، و يجهر بكلمة الاخلاص الى من تراخى[4] عنها، حتى حميت[5] العرب، و أنفت العجم، و غضبت الملوك، و هو على حال ندائه بالحق و دعائه اليه، وحيدا فريدا، لا يحفل بهم غضبا، و لا يرهب عنتا، يقول الله عز و جل: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ، وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) أكنت تقول فيما تجرى الأقاويل به و يقع الآراء عليه، الا انه احد رجلين: إما كاذب يجهل ما يفعل و يعمى عما يقول، و قد دعا الحتف الى نفسه، و أذن الله لقومه فى قتله، فليست الأيام بمادّة و لا الحال بثابتة له إلا ريثما تستلحمه[6] اسبابهم، و ينهض به حلماؤهم، غضبا لربهم، و أنفة لدينهم، و حميّة لأصنامهم، و حسدا من عند انفسهم؛ و إما صادق بصير بموضع قدمه، و مرمى نبله، قد تكفل الله عزّ و جلّ بحفظه، و صحبه بعزه، و جعله فى حرزه[7]، و عصمه من الخلق، فليست الوحشة بواصلة مع صحبة الله اليه، و لا الهيبة بداخلة مع عصمة الله عليه، و لا سيوف الأعداء بمأذون لها فيه.

ثم ان آيتكم[8] يا اهل الكتاب! لو قيل لكم: ان الرجل الذى يدّعى

---

(١) جمع صنديد بالكسر السيد الشجاع (٢) يقال نصب لفلان اى عاداه بابه ضرب و نصر (٣) غَرِى وأُغرِى بكذا اولع به من حيث لا يحمله عليه حامل (٤) تباعد عنها (٥) غضبت بابه سمع (٦) اى تعلق به و تنشب (٧) حفظه (٨) كذا فى الأصل.

سرعة امتلاء البالوعة[١]، و ما فى تنقيتها من شدّة المؤنة . و من ذلك ان الأقدام اذا كثرت كثر المشى على ظهور السطوح المطيّنة[٢]. و على ارض البيوت المجصّصة[٣]، و الصعود على الدرج[٤] الكثيرة، فينقشر[٥] لذلك الطين، و ينقلع[٦] الجصّ، و ينكسر العتب[٧]، مع انثناء[٨] الأجذاع[٩]، لكثرة الوطء، و تكسرها لفرط الثقل .

و إذا كثر الدخول و الخروج، و الفتح و الإغلاق، و الاقفال و جذب الاقفال تهشمت[١٠] الأبواب، و تقلّعت الرزات[١١] .

و إذا كثر الصبيان، و تضاعف البوش[١٢] نزعت مسامير[١٣] الأبواب، و قُلِعت كل ضَبّة[١٤]، و نزعت كل رزّة، و كسرت كل جوزة[١٥]، و حفر فيها

(١) ثقب او قناة فى وسط الدار مثلا يجرى فيها الماء الوسخ و الأقذار ج بواليع و كذ البلّاعة و البلّوعة جمعهما بلاليع (٢) طَيَّن الحائط طلاه بالطين (٣) جصّص البناء طلاه بالجص و الجص بالفتح و الجص بالكسر ما تطلى به البيوت من الكلس . (٤) جمع درجة و هى المرقاة (٥) مطاوع قشر و قشّر و كذا تقشّر و قشره كشط جلده او قِشره (٦) مطاوع قلع و كذا تقلّع و اقتلع و قلع الشيء انتزعه من اصله . (٧) جمع عتبة و هى التى يوطأ عليها و فى المختار قال ابن شميل : العتبة فى الباب هى العليا و الأسكفة (بضم فسكون فضم ففاء مشددة مفتوحة) هى السفلى (٨) الانعطاف . (٩) جمع جذع و هو سهم السقف و يجمع ايضا على جذوع (١٠) تكسرت .
(١١) جمع رزّة بالفتح الحديدة التى يدخل فيها القفل و يجمع ايضا على رِزاز و رُزَز (١٢) بفتح فسكون و البوش بضم الباء الجماعة و العيال و قيل الجماعة من الناس المختلطين (١٣) جمع مسمار و هو وتد من حديد (١٤) نوع من المغاليق و فى اللسان حديدة عريضة يضبب بها الباب (١٥) يريد شجرة الجوز إذ كان هذا الشجر مما يغرس فى البيوت لذلك العهد .

آبار الددن[1] ، و هشموا[2] بلاطها[3] بالمداحى[4] . هذا مع تخريب الحيطان
بالأوتاد ، و خشب الرفوف[5] و إذا كثر العيال و الزوّار، و الضيفان و الندماء[6]
حتيج من صبّ الماء ، و اتخاذ الحِبية[7] القاطرة ، و الجرار[8] الراشحة[9] ، الى
اضعاف ما كانوا عليه . فكم من حائط قد تأكّل[10] اسفله ، و تناثر اعلاه ،
و استرخى اساسه ، و تداعى[11] بنيانه ، من قطر حبّ ، و رشح جر ، و من فضل
ماء البئر ، و من سوء التدبير . و على قدر كثرتهم يحتاجون من الخبز[12]
و الطبيخ ، و من الوقود و التسخين . و النار لاتبقى ولا تذر[13] . و إنما الدور
حطب لها . و كل شيء فيها من متاع فهو اكل لها . فكم من حريق قد اتى

---

(١) اللهو و اللعب و المراد بآبار الددن الحفر التى يحفرها الصبيان ليرموا فيها الأكر او نحو ذلك وسماها آبارا على المجاز (٢) كسروا و بابه ضرب (٣) بالفتح الأرض المستوية الملساء و أيضا صفائح الحجارة التى يفرش بها (٤) جمع مدحاة (بكسر فسكون) فى اللسان و المدحاة خشبة يدحى بها الصبي فتمر على وجه الأرض لا تأتى على شيء الا اجتحفته اى جرفته (٥) جمع رف بالفتح خشبة او نحوها تشد الى الحائط فتوضع عليها طرائف البيت (٦) جمع نديم و هو المنادم على الشرب و الرفيق و الصاحب و يجمع ايضا على ندام و نُدمان (٧) جمع حُبّ بالضم وهو الجرة الكبيرة اوالخابية و يجمع ايضا على حِباب بالكسر و أحباب (٨) جمع جرة وهى اناء من خزف له بطن كبير و عروتان وفم واسع و يجمع ايضا على جر بدون التاء (٩) رشح كفتح رشحا و رشحانا تحلب منه الماء و نحوه (١٠) يقال تأكل السن اوالعود اى صار منخورا (١١) اى تصدّع من جوانبه وآذن بالانهدام والسقوط . (١٢) المخبوز و الطبيخ اى الطعام المطبوخ (١٣) اى لا تترك ، و لا يستعمل بهذا المعنى سوى المضارع و الأمر .

و الشيء لا يقى . هذا مع خفة المؤنة فى احكامها ، و أمن القلوب من المتألف[1] بسببها .

فان كنتم تقدمون على ذلك بِنّا و منكم و أنتم ذاكرون فهذا عجب ، و إن كنتم لم تحفلوا بما عليكم فى اموالنا و نسيتم ما عليكم فى اموالكم فهذا اعجب .

ثم ان كثيرا منكم يدافع[2] بالكراء ، و يماطل[3] بالأداء ، حتى اذا جمعت اشهر عليه ، فرّ و خلّى اربابها جياعا ، يتندّمون على ما كان من حسن تقاضيهم و إحسانهم . فكان جزاؤهم و شكرهم اقتطاع حقوقهم ، و الذهاب بأقواتهم . و يسكنها الساكن حين يسكنها و قد كسحناها[4] و نظفناها ، لتحسن فى عين المستاجر ، و ليرغب فيها الناظر . فاذا خرج ترك فيها مزبلة[5] و خرابا ، لا تصلحه الا النفقة الموجعة . ثم لا يدع مَتْرسا[6] إلا سرقه ، و لا سلّما إلا حمله ، و لا نقضا[7] إلا اخذه ، و لا برّادة[8] إلا مضى بها معه .

و لا يدع دق الثوب ، و الدق فى الهاون[9] و المنحاز[10] ، فى ارض الدار

---

(١) جمع متلفة اى مهلكة (٢) يماطل فيه ففى اللسان دافع فلان فلانا فى حاجة اذا ماطله فيها فقوله بالكراء بمعنى فى و مفعول يدافع محذوف اى المالك و الكراء مصدر فى الأصل من كاريته على المفاعلة (٣) يسوّف بوعد الوفاء مرة بعد اخرى (٤) كنسنا و نظّفنا بابه فتح (٥) موضع الزبل و هو السرقين والسرقين ما تسمد به الأرض و المراد ترك فيها اوساخا و أقذارا (٦) خشبة توضع خلف الباب لتدعمه و الكلمة فارسية معربة معناها فى العربية لا تخف (٧) بالضم ما انتقض من البنيان ج أنقاض و نقوض (٨) اناء يبرد الماء (٩) ما يدق فيه الدواء و نحوه ج هواوين . (١٠) الهاون .

و لانهدام المنازل غاية قريبة، و مدة قصيرة. و الساكن فيها هو كان المتمتع بها، و المتنفع بمرافقها[1]. و هو الذى ابلى جدّتها و تحلّاها. و به هرمت[2] و ذهب عمرها لسوء تدبيره.

فاذا قسمنا الغرم عند انهدامها باعادتها، و بعد ابتنائها، و غرم[3] ما بين ذلك من مرمتها و إصلاحها، ثم قابلنا بذلك ما اخذنا من غلاتها، و ارتفقنا[4] به من اكرائها، خرج على المسكن من الخُسران، بقدر ما حصل للساكن من الربح. ألا ان الدراهم التى اخرجناها من النفقة كانت جملة، و التى اخذناها على جهة الغلّة جاءت مقطّعة[5].

و هذا مع سوء القضاء، و الأحواج الى طول الاقتضاء، و مع بعض الساكن للسكن و حب المُسْكن للساكن، لأنّ المسكن يحب صحّة بدن الساكن، و نفاق سوقه، ان كان تاجرا، و تحرك صناعته، ان كان صانعا، و محبة الساكن ان يشغل الله عنه المُسْكِنَ كيف شاءَ - ان شاءَ شغله بعينه[6]، و إن شاء بزمانه[7]، و إن شاء بحبس و إن شاء بموت.

و مدار مناه ان يُشغَل عنه. ثم لا يبالى كيف كان ذلك الشغل إلّا انه كلما كان اشد كان احبّ اليه، و كان اجدر ان يأمن، و أخلق لأن يسكن. و على انه ان فترت[8] سوقه، او كسدت صناعته، الحّ فى طلب التخفيف من اصل الغلّة، و الحطيطة[9] مما حصل عليه من الأجرة. و على

(١) المنافع (٢) بليت (٣) بالضم الغرامة و هى ما يلزم اداؤه من المال (٤) انتفعنا به.
(٥) مجزّأة (٦) اى بذاته (٧) اى بأحوال زمانه و يمكن ان تكون الكلمة بزمانة و هى العاهة (٨) كسدت (٩) فعيلة بمعنى مفعولة اسم لما يحط من الثمن.

انه ان اتاه الله بالارباح فى تجارته ، و النفاق فى صناعته ، لم ير ان يزيد قيراطا فى ضريبته ، و لا ان يعجل فلسا قبل وقته – ١ .

أطيب طعام وأشعر بيت لأبى الفرج الأصبهانى[٢]

صنع عبد الملك بن مروان طعاما فأكثر و أطاب ، و دعا اليه الناس فأكلوا . فقال بعضهم : ما اطيب هذا الطعام ! ما نرى ان احدا رأى اكثر منه ، و لا اكل اطيب منه . فقال اعرابى من ناحية القوم : اما اكثر فلا ، و أما اطيب فقد – و الله – اكلت اطيب منه ، و طفقوا يضحكون من قوله . فأشار اليه عبد الملك فأدنى منه . فقال : ما انت بمحق فيما تقول إلا ان تخبرنى بما يبين به صدقك .

فقال : نعم يا امير المؤمنين ! بينما انا بهجر فى ترب احمر فى اقصى حجر اذ توفى ابى و ترك كلّا و عيالا ، و كان له نخل ، فكانت فيه نخلة لم ينظر الناظرون الى مثلها ؛ كان ثمرها اخفاف الرباع[٣] لم ير ثمر قط اغلظ و لا اصلب ، و لا اصغر نوى ، و لا احلى حلاوة منها ، وكانت تطرقها أتان وحشيّة قد الفتها تأوى الليل تحتها ، فكانت تثبت رجليها فى اصلها و ترفع يديها ، و تعطو[٤] بفيها فلا تترك فيها إلا النبذ[٥] و المتفرق فأعظمنى[٦] ذلك و وقع منى كل موقع ، فانطلقت بقوسى و أسهمى و أنا اظن انى ارجع من ساعتى . فمكثت

(١) كتاب البخلاء للجاحظ (٢) مرت ترجمته فى الجزء الأول (٣) بكسر الراء جمع رُبع ، بضم الراء و فتح الباء ، وهو الفصيل ينتج فى الربيع و هو أول النتاج شبه الثمر فى نعومته و لينه بأخفاف (جمع خف) فصلان الإبل التى تولد فى فصل الربيع و هى من انعم اولاد الناقة جسما و ألينها لحما (٤) تتناول (٥) اى القليل اليسير (٦) اى فأفزعنى ذلك و عظم علىّ .

يوما و ليلا لا أراها حتى كان السحر اقبلت فتهيأت لها فرشقتها[1] فأصبتها و آجهزت[2] عليها ، ثم عمدت الى سرتها[3] ، فأفريتها[4] ، ثم عمدت الى حطب جزل[5] فجمعته الى رضف[6] ، و عمدت[7] الى زندى[8] فقدحت[9] و أضرمت[10] النار فى ذلك الحطب و ألقيت سرتها نيها ، و أدركنى نوم السبات[11] فلم يوقظنى إلا حر الشمس فى ظهرى فانطلقت اليها فكشفتها و ألقيت ما عليها من قذى[12] او سواد او رماد، ثم قلبت مثل الملاءة[13] البيضاء فألقيت عليها من رطب تلك النخلة المجزّعة[14] و المنصّفة[15] فسمعت لها اطيطا[16] كتداعى عامر و غطفان . ثم اقبلت اتناول الشحمة و اللحمة فأضعها بين التمرتين و أهوى الى فمى . احلف انى ما اكلت طعاما مثله قط .

فقال له عبد الملك : لقد اكلت طعاما طيبا . فمن انت؟ قال : انا رجل

---

(١) رميتها بابه نصر (٢) اجهز على الجريح شد عليه و أتم قتله (٣) التجويف الصغير المعهود فى وسط البطن ج سرّات و سُرر (٤) قطعت و شققت و أصلحت . (٥) الغليظ العظيم (٦) الحجارة المحماة واحدتها رضفة (٧) قصدت بابه ضرب . (٨) العود الأعلى الذى يقتدح به النار ، و الزندة العود الأسفل الذى فيه الفرضة فاذا اجتمعا قيل الزندان ج زِناد و أَزْنُد و أزناد (٩) قدح بالزند اى حاول اخراج النار منه بابه فتح (١٠) اضرم و ضرم و استضرم النار اوقدها و أشعلها و ألهبها (١١) النوم العميق او أوله (١٢) بالكسر التراب المدقق ج قِذًى و أقذاء . (١٣) ثوب يلبس على الفخذين و الريطة ذات لفقين ج مُلاء (١٤) صفة للرطب و المجزّع و المجزِّع من الرطب ما بلغ النضج الى نصفه (١٥) نصّف النخل احمر بعض بسره و بعضه اخضر (١٦) اى صوتا .

جانبتى عنعنة[١] تميم و أسد، و كسكسة[٢] ربيعة، وحوشى[٣] اهل اليمن و إن كنت منهم. فقال: من ايهم انت؟ قال: من اخوالك من عذرة. قال: أولئك فصحاء الناس. فهل لك علم بالشعر؟ قال: سلنى بذلك يا امير المؤمنين! قال: اى بيت قالته العرب امدح؟ قال: قول جرير:

ألستم خير من ركب المطايا[٤] و أندى[٥] العالمين بطون راح

قال: و جرير فى القوم، فرفع رأسه و تطاول لها، ثم قال: فأى بيت قالته العرب افخر؟ قال: قول جرير:

اذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

قال: فتحرك، ثم قال له: فأى بيت اهجى؟ قال: قول جرير:

فغض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت و لا كلابا

قال: فاستشرف[٦] لها جرير و اهتز و طرب، ثم قال له: فأى بيت قالته العرب احسن تشبيها؟ قال: قول جرير:

سرى نحوهم ليل كأن نجومه قناديل فيهن الذبال[٧] المفتل

فقال جرير: جائزى للعذري يا امير المؤمنين! فقال عبد الملك: و له مثلها من بيت المال و لك جائزتك يا جرير! لا تنتقص منها شيئا. و كانت

---

(١) عنعن اى لفظ فى كلامه الهمزة كالعين (٢) الحاق كاف المؤنث سينا عند الوقف نحو بكس فى بكِ و أكرمتكس فى اكرمتكِ (٣) الوحشى الغريب (٤) جمع مطية وهى الدابة التى تركب ويستوى فيها المذكر و المؤنث فالبعير مطية و الناقة مطية و يجمع ايضا على مَطِىّ (٥) اسم تفضيل يقال فلان اندى من فلان اى اكثر جودا و خيرا (٦) انتصب (٧) جمع ذبالة و هى الفتيلة شبه الجيش بليل والرماح كأنها نجوم بقناديل ذات الفتائل المفتلة و هى اجودها و أقواها.

جائزة جرير أربعة آلاف درهم و توابعها من الحملان[١] و الكسوة. فخرج العذري و في يده اليمنى ثمانية آلاف درهم و في اليسرى رزمة[٢] ثياب –٣.

كتاب ينوب عن كتائب[٤]

رسالة لابن العميد[٥] الى ابن بلكا عند استعصائه على ركن الدولة[٦].

كتابي و أنا مترجح بين طمع فيك، و يأس منك، و إقبال عليك،

---

(١) ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة (٢) بكسر الراء ما جمع من الثياب وغيرها و شد معاجِ رِزَم (٣) كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني (٤) جمع كتيبة القطعة من الجيش او الجماعة من الخيل (٥) هو الأستاذ الرئيس محمد بن الحسن المعروف بابن العميد وزير ركن الدولة بن بويه. كان فارسي الأصل من اهل مدينة قم، نشأ على الأدب و ثقف الكتابة و مارسها و توسع في العلوم حتى لقب بالجاحظ الثاني، كان ربيعا للأدب و الشعر موسما للأدباء و الشعراء مجمعا علميا عامرا، سُلِّمت رئاسته في الأدب و الكتابة و شغف الناس بأدبه حتى قالوا: –" بدئت الكتابة بعبد الحميد و ختمت بابن العميد" إلا أن كتابته كتابة صناعة و تكلف و تأنق و زخرف لا روح فيها و لا حياة، و هي اشبه بالوشي والطراز منها بالأدب والكتابة و لكن تفوقه في هذه الصناعة و تصرفه في ضروب الرسائل مما لا يدفع. وذلك بتوسعه في فنون الكلام و طول ممارسته و بحكم منصبه وشغله، و لعل يمينه لم تخطه احسن من هذه الرسالة التي وجهها الى ابن بلكا. قال الثعالبي في يتيمة الدهر" قد اجمع اهل البصيرة في الترسل، على ان رسالته التي كتبها الى ابن بلكا...... عند استعصائه على ركن الدولة غرة كلامه و واسطة عقده". توفي سنة ٣٦٠ هـ (٦) ابو علي الحسن بن بُويه بن فناخسرو الديلمي الملقب ركن الدولة كان ملكا جليل المقدار عالي الهمة؛ و كان مولده تقديرا في سنة ٢٨٤ هـ، وتوفي سنة ٣٦٦ هـ.

و إعراض

و إعراض عنك، فانك تُدِلّ[1] بسابق حرمة، و تَمُتّ[2] بسالف خدمة، ايسرهما يوجب رعاية، و يقتضى محافظة و عناية، ثم تشفعهما بحادث غلول و خيانة، و تتبعهما بآنف خلاف و معصية، و أدنى ذلك يحبط اعمالك، و يمحق[3] كل ما يرعى لك.

لا جرم انى وقفت بين ميل اليك، و ميل عليك، اقدّم رجلا لصدمك، و أؤخر اخرىٰ عن قصدك، و أبسط يدا لاصطلامك[4] و اجتياحك، و أثنى ثانية لاستبقائك و استصلاحك، و أتوقف عن امتثال بعض المأمور فيك ضَنًّا بالنعمة عندك و منافسة فى الصنيعة لديك، و تأميلا لفيئتك[5] و انصرافك، و رجاء لمراجعتك و انعطافك، فقد يعزب[6] العقل ثم يؤوب، و يغرب اللب ثم يثوب[7]، و يذهب الحزم ثم يعود، و يفسد العزم ثم يصلح، و يضاع الرأى ثم يستدرك، و يسكر المرء ثم يصحو[8]، و يكدر الماء ثم يصفو، و كل ضيقة الى رَخاء[9]، و كل غمرة[10] فالى انجلاء[11].

و كما انك اتيت من اساءتك بما لم تحتسبه اوِلياؤك، فلا يدع ان تأتى من احسانك بما لم ترتقبه اعداؤك، و كما استمرت بك الغفلة حتى ركبت ما ركبت، و اخترت ما اخترت فلا عجب ان تنتبه انتباهة تبصر فيها قبح ما صنعت و سوء ما آثرت، و سأقيم على رسمى فى الابقاء و المماطلة ما صلح،

---

(١) ادلّ عليه ادلا لا وثق بمحبته فأفرط عليه و اجترأ (٢) مت الى فلان بقرابة وصل اليه و توسل بابه نصر (٣) يمحو بابه فتح (٤) الاستئصال وكذلك الاجتياح. (٥) اى لرجوعك (٦) عزب كنصر و ضرب عزوبا بعد و غاب و خفى (٧) يرجع. (٨) صحا السكران ذهب سكره (٩) بالفتح سعة العيش (١٠) غمرة الشيء شدته و مزدحمه ج غَمَرات وغِمار و غُمَر (١١) الانكشاف.

و على الاستيناء[١] و المطاولة[٢] ما امكن ، طمعا فى انابتك ، و تحكيما لحسن الظن بك ، فلست اعدم فيما اظاهره من اعذار ، و أرادفه من انذار ، احتجاجا عليك و استدراجًا[٣] لك ، فان يشأ الله يرشدك و يأخذ بك الى حظك و يسددك[٤] فانه على كل شىء قدير و بالاجابة جدير .

و زعمت انك فى طرف من الطاعة بعد ان كنت متوسطها ، و إذا كنت كذلك فقد عرفت حاليها ، و حلبت شطريها[٥] ، فنشدتك الله لما[٦] صدقت عما سألتك ، كيف وجدت ما زلت عنه ؟ و كيف تجد ما صرت اليه ؟ ألم تكن من الأول فى ظل ظليل ، و نسيم[٧] عليل ، و ريح بليل[٨] ، و هواء غذىّ[٩] ، و ماء روىّ[١٠] ، و مهاد وطىّ[١١] ، و كن[١٢] كنين[١٣] ، و مكان مكين ، و حصن حصين ، يقيك المتألف[١٤] ، و يؤمنك المخاوف ، و يكنفك[١٥] من نوائب الزمان ، و يحفظك من طوارق[١٦] الحدثان[١٧] ؛ عززت به بعد الذلة ، و كثرت بعد القلة ، و ارتفعت بعد الضعة[١٨] ، و أيسرت[١٩] بعد العسرة ،

---

(١) التمهل (٢) طاوله مطاولة ماطله (٣) استدرجه الى كذا قربه اليه رقاه من درجة الى درجة (٤) اى يرشدك الى طريق الصواب (٥) الجزء و النصف ج اشطر و شطور و يقال للناقة فى ضرعها شطران قادمان و آخران وكل خلفين شطر .
(٦) قدتكون حرف استثناء بمعنى إلا فتدخل على الجملة الاسمية نحو ان كل نفس لما عليها حافظ و على الماضى لفظا لا معنى نحو انشدك الله لما فعلت اى ما اسألك إلا فعلك .
(٧) الريح اللينة لا تحرك شجرا ولا تعفى اثراج نسام (٨) الريح الباردة مع ندى .
(٩) الطيّب (١٠) الماء الغزير المروى (١١) اللين الناعم (١٢) البيت ج اكنان وأكنّة .
(١٣) المستور (١٤) جمع متلفة و هى سبب التلف و الهلاك (١٥) كنف الشىء صانه وحفظه و حاطه بابه نصر (١٦) جمع طارقة و هى الداهية (١٧) حدثان الدهر و حدثانه نوائبه (١٨) الذلة (١٩) اى صرت ذا يسار و غنى .

و أثريت [١] بعد المتربة [٢] و اتسعت بعد الضيقة ، و ظفرت بالولايات ، و خفقت [٣] فوقك الرايات [٤] ، و وطئ عقبك الرجال ، و تعلقت بك الآمال ، و صرت تكاثر [٥] و يكاثر بك ، و تشير و يشار اليك ، و يذكر على المنابر اسمك ، و فى المحاضر ذكرك .

ففيم الآن انت من الأمر ؟ و ما العوض عما عددت و الخلف [٦] مما وصفت ؟ و ما استفدت حين اخرجت من الطاعة نفسك ، و نفضت منها كفك ، و غمست فى خلافها يدك ؟ و ما الذى اظلك بعد انحسار [٧] ظلها عنك ؟ اظل ذو ثلاث شعب [٨] لا ظليل و لا يغنى من اللهب ؟ قل : نعم كذلك ! فهو – و الله – اكثف ظلالك فى العاجلة ، و اروحها فى الآجلة ، ان اقمت على المحايدة [٩] و العنود [١٠] ، و وقفت على المشاقة [١١] و الجحود [١٢] .

تأمل حالك و قد بلغت هـذا الفصل من كتابى فستنكرها ، و المس جسدك ، و انظر هل يحس ؟ و اجسس عرقك هل ينبض [١٣] ؟ و فتش ما حنا [١٤] عليك هل تجد فى عرضها قلبك ؟ و هل حَلِيَ [١٥] بصدرك ان تظفر بفوت سريح [١٦] او موت مريح ؟ ثم قس غائب امرك بشاهده و آخر شأنك بأوله ! – ١٧ .

(١) اى كثر مالك (٢) اى الفاقة و الفقر (٣) اضطربت (٤) جمع راية علم الجيش ويجمع ايضا على راى (٥) كاثره غالبه و فاخره بكثرة المال والعدد (٦) البدل والعوض . (٧) الانكشاف (٨) جمع شعبة الطائفة من الشيء (٩) المجانبة (١٠) عند عنودا عن الطريق او القصد مال وعدل بابه ضرب ونصر وسمع وكرم وأيضا عند الرجل خالف الحق وهو عارف به (١١) المخالفة والمعاداة (١٢) الإنكار مع العلم (١٣) نبض العرق نبضا ونبضانا تحرك وضرب بابه ضرب (١٤) اى مال وانعطف (١٥) طاب ولذّ بابه سمع (١٦) المعجّل (١٧) يتيمة الدهر لأبى منصور الثعالبى . قال المؤلف : – " بلغنى عن ابن بلكا وكان آدب امثاله انه كان يقول والله ما كانت لى عند قراءة =

البحـــر

رسالة للصاحب ابن عباد[1] إلى ابن عميد صدرت عن كتابه اليه فى وصف البحر .

وصل كتاب الأستاذ الرئيس صادرا عن شط[2] البحر بوصف ما شاهد من عجائبه ، و عاين من مراكبه ، و رآه من طاعة آلاته للرياح كيف ارادتها

= هذا الفصل الا كما اشار اليه الأستاذ الرئيس (ابن العميد) : و لقد ناب كتابه عن الكتائب فى عرك اديمى واستصلاحى وردى الى طاعة صاحبه (يتيمة الدهر ج ٣) .

(١) ٣٢٦ – ٣٨٥ ﻫ هو أبو القاسم اسماعيل بن عباد ، ولد بطالقان من اعمال قزوين وصحب الأستاذ الرئيس ابن العميد شابا فاشتهر بالصاحب . كان وزير المؤيد الدولة ابن بويه ، ثم لأخيه فخر الدولة فكان ذا الوزارتين ، وصاحب الدولتين (العلم و الامارة) ، و حائز الحسنيين (الأدب و الرئاسة) ، وهو رمز من رموز الأدب الخالدة ، وكان سوقا للأدب والشعر ، يجلب اليها كل طريف ، و يرحل اليه كل اديب ، ويقصده كل شاعر . قال الثعالبى : " احتف به من نجوم الأرض و أفراد العصر و أبناء الفضل و فرسان الشعر من يربى عددهم على شعراء الرشيد " .

اما كتابته فعلى اثر ابن العميد بزيادة فى الحلية اللفظية و ولع بالسجع و الجناس حتى قيل فيه " لو رأى سجعة تنحل بموقعها عروة الملك ويضطرب بها حبل الدولة لما هان عليه ان يتخلى عنها " . و هذه الملاحظة و إن كانت شديدة لكنها صادقة فى اكثر كتاب ذلك العصر الى عصور بعده .

و لعل هذا الكتاب الذى وقع اختيار المؤلف عليه اقل رسائله تكلفا و إغراقا فى الجناس و البديع و أكثرها خفة وسلامة و جمالا . قال الثعالبى فى يتيمة الدهر ج ٣ : كان ابو بكر الخوارزمى يحفظ هذا الكتاب و كثيرا ما كان يقرؤه و يعجب السامعون من فصاحته و لم اره يحفظ من الرسائل غيره .

(٢) الشاطئ ج شطوط و شطآن .

و استجابة

وكم من جبال جبت تشهد انك الـ   جبال و بحر شاهد انك البحر[1]

المقامة المضيرية لبديع الزمان الهمذانى[2]

حدثنا عيسى بن هشام قال: كنت بالبصرة و معى ابو الفتح الاسكندرى رجل الفصاحة[3] يدعوها فتجيبه، و البلاغة يأمرها فتطيعه، و حضرنا معه دعوة بعض التجار فقدمت الينا مضيرة[4] تثنى على الحضارة ، و تترجرج[5] فى الغضارة[6] ، و تؤذن[7] بالسلامة ، و تشهد لمعاوية رحمه الله بالامامة[8] .

---

(١) يتيمة الدهر للثعالبى (٢) هو بديع زمانه ابو الفضل احمد بن الحسين، ولد بهمذان و نشأ بها و تعلم العلم باللغتين الفارسية و العربية ، و رحل الى الصاحب ابن عباد فاستفاد منه ، و قصد جرجان و أقام فى اكناف الإسماعيلية و فى سنة ٣٨٢ يمم نيسابور فتجلت فيها عبقريته و أملى بها اربع مائة مقامة ؛ ثم تصدى لمناظرة ابى بكر الخوارزمى و هو حامل لواء الأدب فى عصره فظهر عليه و طار بذلك صيته فى الآفاق ثم القى عصاه بهرات و عاش بها الى سنة ٣٩٨ هـ .

كان البديع نادرة فى الذكاء و سرعة الخاطر ، وحضور البديه ، وقوة الحفظ . كان يأتى فى الإنشاء ببدائع و نوادر و هو الذى سبق الى انشاء المقامات وقد اعترف بتقدمه وسبقه الحريرى فى مقدمة مقاماته .

نثر البديع من قبيل الشعر المنثور اقل تكلفا من متأخريه و من كثير من معاصريه و متقدميه يجمع بين متانة اللفظ و رشاقة المعنى ، و جمال الأدب و دقة التخيل و هزله ، و دعابته تفوق دعابة الحريرى و أقل منها تكلفا .

(٣) اى صاحبها الفرد ليس فى الرجال من يساويه يقال "فلان رجل الحرب" اذا كان فريدا فى القيام بأعبائها لا يباريه بها احد وكذا رجل البلاغة (٤) لحم يطبخ باللبن المضير و هو الحامض (٥) تتحرك بشدة (٦) القصعة الكبيرة ج غضائر (٧) اى تشعر بالسلامة من يأكل منها لأنها لطيبها مستساغة سهلة الهضم لا يخشى آكلها من ضرر البطنة و إن بالغ فى الالتهام (٨) لأن سيدنا معاوية =

فى قصعة يزلّ عنها الطرف، و يموج فيها الظرف[١]. فلما اخذت من الخوان[٢]
مكانها و من القلوب اوطانها قام ابو الفتح الاسكندرى يلعنها و صاحبها،
و يمقتها[٣] و أكلها، و يثلبها[٤] و طابخها. و ظنناه يمزح فاذا الأمر بالضد،
و إذا المزاح عين الجدّ، و تنحى عن الخوان، و ترك مساعدة الأخوان،
و رفعناها فارتفعت معها القلوب و سافرت خلفها العيون و تحلّبت[٥] لها
الأفواه، و تلمّظت[٦] لها الشفاه، و اتقدت لها الأكباد، و مضى فى أثرها الفؤاد،
و لكنا ساعدناه على هجرها، و سألناه عن امرها، فقال: قصتى معها اطول
من مصيبتى فيها، و لو حدثتكم بها لم آمن المقت، و إضاعة الوقت؛ قلنا: هات!

قال: دعانى بعض التجّار الى مضيرة و أنا ببغداذ ولزمنى ملازمة الغريم[٧]،
و الكلب لأصحاب الرقيم[٨]، الى ان اجبته اليها و قمنا فجعل طول الطريق يثنى
على زوجته، و يفدّيها[٩] بمهجته[١٠]، و يصف حذقها[١١] فى صناعتها، و تأنقها[١٢]
فى طبخها، و يقول: يا مولاى! لو رأيتها، و الخرقة فى وسطها، و هى

= رضى الله تعالى عنه كان معروفا فى عصره بحسن الذوق وطيب الطعام و تنويعه.
(١) حسن الهيئة و براعة اللسان فيما تسر الأنفس باستماعه ذلك اصله و المراد هنا
مطلق الحسن و البهاء (٢) بالضم و الكسر ما يوضع عليه الطعام ليؤكل ج اخونة
و خُون (٣) اى يبغض اشد البغض بابه نصر اراد من المقت الكلام الدال عليه
و إلا فهو فعل نفسى (٤) ثلبه اى عابه و لامه بابه ضرب (٥) اى سال ريقها و الفم
يتحلب عند رؤية شىء من المطعم تميل النفس الى تناوله بل عند تذكره كذلك.
(٦) التلمظ اخراج اللسان بعد الأكل و الشرب ليمسح به الشفتان (٧) رب الدين
ج غرماء و غرّام (٨) اهل الكهف و قصتهم معروفة فى القرآن الكريم و كلبهم
معهم لا يفارقهم (٩) اى قال لها جُعِلْتُ فداك (١٠) دم القلب، الروح ج مُهَج
و مهجات (١١) مهارتها (١٢) التأنق فى العمل الإتيان به على احسن وجوهه.

تدور فى الدور، من التنّور الى القدور، و من القدور الى التنّور، تنفث[١]
بفيها النار، و تدق بيديها الأبزار[٢]، و لو رأيت الدخان و قد غبّر[٣] فى ذلك
الوجه الجميل، و أثر فى ذلك الخدّ الصقيل[٤]، لرأيت منظرا تحار فيه العيون،
و أنا اعشقها لأنها تعشقنى، و من سعادة المرء ان يرزق المساعدة من حليلته[٥]،
و أن يُسعَد بظعينته[٦]، و لا سيّما اذا كانت من طينته، و هى ابنة عمّى لحًّا[٧]،
طينتها طينتى، و مدينتها مدينتى، و عمومتها عمومتى، و أرومتها[٨] ارومتى،
لكنها اوسع منّى خُلقا، و أحسن خَلقا، و صدعنى[٩] بصفات زوجته،
حتى انتهينا الى محلّته، ثم قال: يا مولاى! ترى هذه المحلّة هى اشرف محالّ
بغداذ يتنافس الأخيار فى نزولها، و يتغاير الكبار فى حلولها، ثم لا يسكنها
غير التجار، و إنما المرء بالجار، و دارى فى السطة من قلادتها[١٠]، و النقطة
من دائرتها، كم تقدّر يا مولاى! أُنفق على دار منها، قله تخمينا، ان لم تعرفه
يقينا؛ قلت: الكثير، فقال: يا سبحان الله ما اكبر هذا الغلط! تقول

---

(١) تنفخ بابه ضرب و نصر (٢) جمع بزر بالكسر التابل وهو ما يوضع فى الطعام لتطييبه كالفلفل و القرنفل و نحوهما ج ابزار و أبازير (٣) لطّخ بالغبار (٤) المجلوّ كالسيف الذى جلى حتى ظهر بريقه و لمعانه و يروى الاسيل بدل الصقيل و أسل الخد ككرم اسالة لان وطال (٥) الزوجة ج حلائل (٦) المرأة مادامت فى هودجها اراد منها الزوجة ج ظعائن (٧) مصدر لحّت القرابة بيننا لحًا اذا التصقت و التحمت ثم قيل هو ابن عمى لحًا اى ملتصقا اى ابن عم اقرب اخ للأب (٨) الأصل اى اصولها هى اصوله و الفقرات كلها تاكيد لمعنى لحًّا (٩) صدع بالحق تكلم به جهارا بابه فتح.
(١٠) ما جعل فى العنق من الحلى ج قلائد و قلاد جعل بيوت المحلّة كجواهر القلادة و بيته فى مكان الوسط من تلك القلادة و واسطة القلادة هى اعظم جوهر فيها.

[illegible]

[illegible]

وقت المصادرات[1]، و زمن الغارات، وكنت اطلب مثله منذ الزمن الأطول فلا اجد، و الدهر حبلى[2] ليس يُدرى ما يلد. ثمّ اتفق انى حضرت باب الطاق، و هذا يعرض فى الأسواق، فوزنت فيه كذا و كذا دينارا، تأمّل بالله دقته و لينه و صنعته و لونه فهو عظيم القدر، لا يقع مثله إلا فى الندر[3]، و إن كنت سمعت بأبى عمران الحصيرى فهو عمله و له ابن يخلفه الآن فى حانوته لا يوجد اعلاق[4] الحصر إلّا عنده . فبحياتى لا اشتريت الحُصر إلّا من دكانه، فالمؤمن ناصح لاخوانه، لا سيما من تحرّم[5] بخوانه .

و نعود الى حديث المضيرة، فقد حان وقت الظهيرة، يا غلام! الطست و الماء، فقلت : الله اكبر! ربّما قرب الفرج، و سهل المخرج، و تقدم الغلام، فقال : ترى هذا الغلام، انه رومىّ الأصل عراقى النشء، تقدم يا غلام! و احسِر عن رأسك، و شمّر عن ساقك و انضُ[6] عن ذراعك، و افترّ[7] عن اسنانك، و أقبل و أدبر . ففعل الغلام ذلك . و قال التاجر : بالله من اشتراه .

= للمقتدر بالله بن المعتضد العباس ثم نكبه و صادره على جميع امواله فى سنة ٣٠٢ من الهجرة .

(١) يقال صودر فلان العامل على مال يوديه اى فورق على مال ضمنه (٢) الحبلى الحامل ج حبالى وحبليات و هو مثل يضرب لما يحصل من غير ترقب وعلم سابق . (٣) مصدر ندر الشيء كنصر ندرا و ندورا اذا قل وجوده (٤) جمع علق بالكسر و هو الشيء النفيس. و يجمع ايضا على علوق (٥) تمّنع يقال تحرّم من فلان بذمة او عهد او جوار اذا صار فى حمايته و هذه كناية لطيفة اى من كان ضيفا عند رجل مرة وجب له حق و يثبت له حرمة عند المضيف ينصح له ويعينه (٦) اى انزع ثوبك عن ذراعك بابه نصر (٧) اى تبسم لتكشف عن اسنانك .

[illegible]

المقامة الزبيدية للحريري[1]

اخبر الحارث بن همّام قال: لما جُبْت البيد[2]، الى زبيد[3]، صحبنى غلام قد كنت ربّيته الى ان بلغ اشدّه، و ثقفته[4] حتى اكمل رشده، وكان قد انس بأخلاقى، و خبر مجالب[5] وفاقى، فلم يكن يتخطّى[6] مرامى[7]، و لا يخطئ فى المرامى[8]. لا جرم ان قُربه[9] التاطت[10] بصفرى[11]، و أخلصته لحضرى و سفرى،

---

(١) ابو محمد القاسم بن على البصرى (٤٤٦–٥١٦هـ)، نشأ بالبصرة وتخرج على فضلائها، و اشتهر فى فنون الأدب و برز على الأقران. وكان من اوعية العلم، راوية حافظا للأخبار والأشعار، وقد اشتهر بمقاماته حتى لا تذكر الا انتقل الذهن اليه. وقد سحرت قلوب الناس و فتنت انظار الأدباء و بقيت اشهر كتاب و المثال الوحيد للنثر العربى فى بعض الأقطار و لها اثر بليغ فى اساليب الكتاب ينسجون على منوالها و يتفاخرون بتقاليدها. تمتاز كتابة الحريرى بالتكلف والمبالغة فى الصنعة، و ترجيح جانب اللفظ على جانب المعنى، و التزام شديد للقوافى و وحدة الأسلوب و جماة القول، فأسلوبه اسلوب صناعى اجوف مموه على ان كتاب المقامات قد تضمن ثروة ادبية ضخمة لا يستهان بقدرها فهو قاموس للفردات الغريبة، و النوادر اللغوية، و الأمثال العربية، و الأحاجى النحوية. و لعل ذلك هو سر عكوف الناس عليه و دراستهم له (٢) جمع بيداء و هى الفلاة من الأرض (٣) بفتح الزاء بلدة باليمن بينها وبين صنعاء اربعون فرسخا وإليها ينسب العلامة مرتضى صاحب تاج العروس. (٤) اى هذبته و أدّبته من ثقفت الشيء اقمت عوجه (٥) جمع مجلبة و هى ما يحمل على الجلب (٦) يتجاوز (٧) المرام المقصد (٨) جمع مرمى و هو الغرض (٩) جمع قربة و هى ما يتقرب به الى الله تعالى من افعال البر و الطاعة و يجمع ايضا على قربات (١٠) التصقت (١١) بفتحتين لب القلب، العقل يقال "لا يلتاط هذا بصفرى" اى لا يلصق به ولا تقبله نفسى.

فألوى[١] به الدهرُ المبيدُ[٢]، حينَ ضمّنتا زيدٌ. فلما شالت[٣] نعامتُه، و سكنت نامتُه[٤]، بقيتَ عاما لا أُسيغ طعاما، و لا أُريغ[٥] غلاما، حتى الجأتني شوائبُ[٦] الوحدةِ، و متاعب القومةِ و القعدةِ، إلى أن أعتاضَ[٧] عن الدُّرِ الخَرَزَ[٨]، وَ أرتادَ[٩] مَن هُوَ سِدادٌ مِن عَوَزٍ[١٠]، فقصدتُ مَن يَبيعُ العبيدَ، بسوقِ زبيدَ، فقلت: أُريد غلاما يُعجِبُ اذا قُلِّبَ[١١]، و يُحمَدُ إذا جُرِّبَ، وَ ليَكُنْ مِمّن خرّجَه[١٢] الأكياسُ[١٣]، و أخرجَه إلى السُّوقِ الإفلاسُ، فاهتزَّ كلٌّ منهم لِمَطلبي و وَثَبَ، و بذل تحصيلَه عن كَثَبٍ[١٤]، ثم دارت الأهلّةُ دورَها، و تقلّبتْ كَوْرَها[١٥] و حَوْرَها، و مَا نَجَزَ[١٦] مِن وُعودِهم وَعْدٌ، وَلَا سَحَّ[١٧] لَها رَعدٌ[١٨].

فلما رأيت النّخاسين[١٩] ناسين او متناسين، علمت انّ ليس كلُّ مَن خلَق[٢٠]

---

(١) اهلكه (٢) المهلك (٣) اى مات وهو من الكناية يقال "شالت نعامة القوم" اذا تفرقوا او ارتحلوا او ذهب عزهم او ماتوا و شالت اى ارتفعت والنعامة باطن القدم و هى ترتفع عند الموت (٤) حركته التى تنمو بحياته وأصلها صوت الأسد او غيره (٥) لا اطلب (٦) جمع شائبة و هى الأخلاط و الأكدار (٧) استبدل. (٨) فصوص من حجارة (٩) اطلب (١٠) الحاجة والضيق (١١) فُتّش (١٢) اى ممن علّمه و دربه (١٣) جمع كَيّس بتشديد الياء المكسورة وهو الفَطِن و الحسن الفهم و الأدب و يجمع ايضا على كيسى (١٤) اى عن قرب (١٥) اى تمامها و نقصانها من قولهم نعوذ بالله من الحور بعد الكور (١٦) اى ما حصل و ما انقضى بابه نصر. (١٧) سحّ كنصر سحّا و سحوحا سال و انصب غزيرًا (١٨) هذه الجملة كناية عن عدم وفاء ما وعدوه به (١٩) الدلالين فى الرقيق (٢٠) خلق الشيء كنصر خلقا و خلقة صنعه و قدره.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

لم ابك — و الله — على الف[١] نزح[٢] و لا على فوت نعيم و فرح

و إنما مدمع اجفانى سفح[٣] على غبيّ لحظه حين طمح[٤]

ورَّطه[٥] حتى تعنّى[٦] و افتضح وضيّع المنقوشة[٧] البيض الوضح[٨]

ويك اما ناجتك هاتيك الملح[٩] بأننى حر و بيعى لم يبح

اذ كان فى يوسف معنى قد وضح

قال: فتمثّلت[١٠] مقاله فى مرآة المداعب[١١]، و معرض المُلاعب، فتصلّب تصلّب المحق، و تبرأ من طينة الرق[١٢]، فجلنا فى مخاصَمَة، اتصلت بملاكمة[١٣]، و أفضت[١٤] الى محاكمة[١٥]. فلما اوضحنا للقاضى الصورة، و تلونا عليه السورة[١٦]، قال: ألا إن من انذر، فقد اعذر[١٧]، و من حذّر، كمن بشر، و من بصّر، فما قصر، و إن فيما شرحتماه لدليلا على انّ هذا الغلام قد نبّهك فما ارعويت[١٨]، و نصح لك فما وعيت[١٩]، فاستر داء بلهك و اكتمه، و لُم نفسك و لا تلمه، و حذار[٢٠] من اعتلاقـــه[٢١] و الطمع فى استرقاقه، فانه حُرّ الأديم[٢٢]،

= و بينك بون بعيد.

(١) المحبوب ج آلاف (٢) بعُد (٣) سال (٤) ارتفع بصره و نظر شديدا (٥) اوقعه فى ورطة وهى الهلكة و كل امر تعسر النجاة منه (٦) تعب (٧) اى الدراهم. (٨) حلى من فضة و الجمع اوضاح و فى الصحاح الوضح الدرهم الصحيح و الوضح البياض (٩) جمع مُلحة وهى من الأحاديث ما لذ و استملح منها (١٠) تصورت. (١١) الممازح من الدعابة وهى المزاح (١٢) اى استنكف وتحاشى عن كونه رقيقا. (١٣) من اللكم و هو الضرب بجمع الكف (١٤) وصلت (١٥) هى الذهاب الى الحاكم (١٦) اى الواقعة (١٧) صار معذورا (١٨) اى فما انتبهت ولا انكففت. (١٩) اى فما ادركت وما التفت لنصيحته (٢٠) مبنى على الكسر اسم فعل بمعنى احذر. (٢١) اى امساكه (٢٢) الجلد و المراد ليس به شائبة رق.

ذيلى الغَبْن و الغَبَن[١]، و نويت مكاشفة ابى زيد بالهجر، و مصارمته[٢] يد الدهر[٣]، فجعلت اتنكّب[٤] عن ذراه[٥]، و أتجنّب عن اراه، الى ان غشِينى[٦] فى طريق ضيّق، فحيّانى تحيّة[٧] شيّق، فما زدت على ان عبست، و ما نبست[٨]، فقال: ما بالك؟ شمخت[٩] بأنفك على إلفك[١٠]، فقلت: انسيت انك احتلت و ختلت[١١]، و فعلت فعلتك التى فعلت؟ فاضرط[١٢] بى متهازيا[١٣]، ثم انشد متلافيا[١٤]:

يا من بدا منه صدو د[١٥] موحش و تجهم[١٦]
و غدا يريش[١٧] مَلاوما[١٨] من دونهن الأسهم
و يقول هل حرّ يبا ع كما يباع الأدهم[١٩]
اقصر[٢٠] فما انا فيه بد عًا مثل ما تتوهم
قد باعت الأسباط[٢١] قبـ ـلى يوسفا و هم هم

---

(١) الأول باسكان الموحدة وهو البيع بأزيد من القيمة و الثانى بفتحها و هو ضعف العقل (٢) المقاطعة (٣) اى مدة نعمة الدهر وهى الحياة الى آخر العمر (٤) اى اعدل و أتباعد (٥) منزله و بيته (٦) لقينى و قابلنى (٧) سلام مشتاق شديد الحب. (٨) ما تكلمت و أكثر استعمال هذا اللفظ فى النفى (٩) شمخ كفتح شمخا و شموخا انفه و بأنفه رفعه اعتزازا و تكبرا (١٠) محبوبك (١١) خدعت بابه نصر و ضرب. (١٢) اى سخر منى و أصله ان يضع الشخص ظهر يده على فمه و ينفخ فيخرج صوت كصوت الضرطة (١٣) الساخر (١٤) متداركا ما فات (١٥) الإعراض. (١٦) تجهمه و تجهم له استقبله بوجه عبوس كريه (١٧) اصله وضع الريش على السهم و أراد انه يهيئ له الكلام المؤلم (١٨) جمع ملامة (١٩) الأسود و المراد الفرس الأسود او العبد الأسود (٢٠) كف عن اللوم (٢١) كالقبائل وهم اولاد سيدنا يعقوب ـ على نبينا و عليه الصلاة و السلام ـ سيدنا يوسف و إخوته.

هـــذا وِ أُقســم بالّتى[١]   يسرى الـيـهـا الـمُـتْـهِم[٢]

و الطائفــين بها و هم   شعث[٣] النواصى سُهَّم[٤]

ما قمت ذاك الموقف الــمُخزى   و عندى درهم

فاعذر اخاك و كُفّ عنـــه   مــلامَ من لا يـفهم

ثم قال: امّا معذرتى فقد لاحت، وِ أمّا دراهمك فقد طاحت[٥]، فان كان اقشعرارك[٦] منّى، و ازورارك[٧] عنّى، لفرط شفقتك، على غبّر[٨] نفقتك، فلست ممّن يلسع[٩] مرتين، و يوطئ على جمرتين، و إن كنت طويت[١٠] كشحك، و أطعت شحك، لتستنقذ ما علق بأشراكى، فلتبك على عقلك البواكى.

قال الحارث بن همّام: فاضطرّنى بلفظه الخالب، و سحره الغالب، الى ان عدت له صفيّا، و به حفيّا[١١]، و نبذت فعلته ظِهْرِيّا[١٢]، و إن كانت شيئا فريّا[١٣] – ١٤.

•

---

(١) اراد الكعبة شرفها الله (٢) الذاهب الى تهامة (٣) جمع اشعث اى المغبّر والمتلبّد. (٤) جمع ساهم ذابل الشفتين هزالا و قيل الساهم المتغير الوجه من وهج الشمس. (٥) ذهبت و فنيت (٦) الانقباض (٧) الميل (٨) جمع غابر غبّر الشيء بقاياه (٩) يلدغ و قيل اللسع لذوات الإبر و اللدغ بالفم فالعقرب تلسع و الحية تلدغ و هذا اقتباس من حديث مرفوع "لا يلسع المؤمن من جحر مرتين" (١٠) اى اعرضت. (١١) العطوف المبالغ فى الإكرام (١٢) اى خلف ظهرى منسيّة و كسر الظاء من تغييرات النسب (١٣) اى امرا عظيما (١٤) المقامات للحريرى.

عتاب وتأنيب للقاضي الفاضل[1]

اتصل بالقاضي الفاضل ان اخاه عبد الكريم نال الأمير علم الدين ابن النحاس بأذى و جفاء . فكتب اليه يؤنّبه[2]:

سبب اصدار هذه المكاتبة الى الأخ – اصلحه الله – اعلامه ما صح عندى من الأحوال التى اخفاها و الله مبديها فى حق الأمير علم الدين ، و بالله اقسم لئن لم تداو ما جرحت و تستدرك[3] ما فعلت ، و تمح ما اثبت ، و تستأنف ضد القبيح الذى كتبت به و شافهت[4] ، و تعتذر بالجميل فيما قاطعت الله به و بارزت ، ليكونن الحديث منى بغير الكتب و لأزيلن السبب الذى قدرت به على مضرة الأصحاب ، و ما اشد معرفتى بأن الطباع لا تتغير ، و بأنك ستحوجنى بعد هذا الكتاب الى ما لا يتأخر ، و بالجملة

---

(١) هو أبو على عبد الرحيم البيسانى العسقلانى (٥٢٩–٥٩٦ هـ) تعلم كتابة الدواوين فى مصر و دخل ديوان قاضى الاسكندرية و امتاز بنبوغه ، فاشتغل فى ديوان الظافر فى القاهرة ؛ و قامت الدولة الأيوبية فكان وزيرا لصلاح الدين و مدبر ملكه و صاحب سره ، و كذلك كان لولده ثم لأخيه حتى توفى .

القاضى الفاضل من ابطال الطريقة العميدية و مجددها – طريقة الصناعة و التكلف و الاسجاع و القوافى – و زاد عليها الاغراق فى التورية و الجناس و كان له التأثير فى الكتابة فى عصره و بعد عصره ما كان لعبد الحميد الكاتب و ابن العميد لوظيفتهم و منصبهم ولم تزل مؤثرة عند الأدباء حتى فقدت مكانتها بتأثير ابن خلدون و مقتضيات العصر الجديد على انه لا تزال منها بقية . و هذه الرسالة البليغة على غير طريقته العادية (٢) يوبخه (٣) تصلح ما فات (٤) خاطبت مواجهة .

فاستدرك بفعلك لا بايمانك لى و تنصّلك[1] إلىّ:

فالدم فى النصل شاهد عجب

و ويل لمن كانت غنيمته من الأيام عقد القلوب على البغضاء و إطلاق الألسنة بالمذام[2] و لو لا انى شريكك فى كل ما تستوجبه من الناس لألقيت حبلك على غاربك[3] و تركتك و ما اخترت لنفسك و لكن:

كيف بمن يرمى و ليس برامى

لكن سكوت الناس عن قبيحك مقابلة لجميل كثير منى، فاذا انت لا تنفق الا من كيسى، فاشفق على نفسك ان كنت تنظر فى غد، و على بيتك ان كنت تنظر فى امس، و على مكانك منى ان كنت لا تنظر الا فى اليوم، و لا تجاوبنى الا بلسان الرجل شاكرا لك فانه و إن كان و الله ما ذمّك فقد ذممتك به عنه.

و ما اظن انك تذكر انى كتبت اليك كتابا و لا كنت اوثره، و لو لا حافز[4] غيظ ما كتبته، و لو لا علمى ان الكثير مما قيل عنك فى امر الرجل هو القليل مما فعلته لأضربت عن هذا كما اضربت عن غيره، و ستعرّفك الأيام ما كنت تجهل، و الله يأخذ بناصيتك الى رضاه، و يغمد سيف حيلتك عن مقتلك، والسلام! — ٥.

---

(١) تنصّل الى فلان من الجناية اى خرج و تبرأ عنده منها (٢) جمع مذمّة (٣) الكاهل او ما بين الظهر او السنام و العنق، و الغارب اعلى كل شيء ج غوارب (٤) الدافع.
(٥) كمال الدين ابن العديم العقيلى فى تذكرته.

وصف مجالس ابن الجوزي[١]

لابن جبير الأندلسي[٢]

ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت بعده مجلس الشيخ الفقيه الإمام الأوحد جمال الدين ابى الفضائل ابن عليّ الجوزى بازاء داره على الشط بالجانب الشرقى و فى آخره على اتصال من قصور الخليفة و بمقربة من باب البصلية آخر ابواب الجانب الشرقى و هو يجلس به كل يوم سبت ، فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمرو و لا زيد ، و فى جوف الفرا كل الصيد[٣] آية الزمان ، و قرة عين الإيمان ، رئيس الحنبلية ، و المخصوص فى العلوم بالرتب العلية ، امام الجماعة ، و فارس حلبة[٤] هذه الصناعة ، و المشهور له بالسبق الكريم

---

(١) مرت ترجمته فى الجزء الأول (٢) هو محمد بن احمد بن جبير الأندلسى (٥٤٠ – ٦١٤هـ) سمع من ابيه بشاطبة ، و من ابى عبد الله الأصيلى و أبى الحسن بن ابى العيش و أخذ عنه القراءات ، و عنى بالآداب فبلغ الغاية فيها و تقدم فى صناعة القريض و صناعة الكتابة و نال بها دنيا عريضة ثم رفضها و زهد فيها، و حدث بكتاب الشفاء عن ابى عبدالله محمد بن عيسى التميمى السبتى عن القاضى عياض و توجه الى الحج و دخل بغداد و الشام وسمع بهما، و قدم مصر فسمع منه الحافظان ابو محمد المنذرى والحافظ ابو الحسين يحيى بن على القرشى وصنف الرحلة المشهورة و ذكر ما شاهده من عجائب البلدان و غرائب المشاهد و بدائع المصانع و هو كتاب مؤنس ممتع (٣) مقتبس من المثل السائر " كل الصيد فى جوف الفرا " الفرا حمار الوحش . اصل المثل ان ثلاثة رجال خرجوا يصطادون ، فاصطاد احدهم ارنبا و الآخر ظبيا و الثالث حمار وحش . فاستبشر الأولان و تطاولا فقال الثالث : كل الصيد فى جوف الفرا اى أنه اعظم الصيد فمن ظفر به اغناه عن كل صيد . (٤) الحلبة بالتسكين خيل تجمع للسباق من كل اوب لا تخرج من اصطبل واحد .

فى البلاغة و البراعة ، مالك ازمة الكلام فى النظم و النثر ، و الغائص فى بحر فكره على نفائس الدر . فأما نظمه فرضى الطباع مهيارى الانطباع[1]، و أما نثره فيصدع بسحر البيان ، و يعطل المثل بقسّ و سحبان[2] . و من أبهر آياته و أكبر معجزاته أنه يصعد المنبر و يبتدئ القراء بالقرآن و عددهم نيف على العشرين قارئا فينتزع الاثنان منهم او الثلاثة آية من القرآن يتلونها على نسق بتطريب و تشويق ، فاذا فرغوا تلت طائفة أخرى على عددهم آية ثانية . و لا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات الى ان يتكاملوا قراءة و قد أتوا بآيات مشتبهات لا يكاد المتقد الخاطر يحصلها عددا او يسميها نسقا . فاذا فرغوا اخذ هذا الإمام الغريب الشأن فى ايراد خطبته عجلا مبتدرا و أفرغ فى أصداف الأسماع من الفاظه دررا و انتظم اوائل الآيات المقروءات فى اثناء خطبته . فقرأ و أتى بها على نسق القراءة لها لا مقدما و لا مؤخرا . ثم اكمل الخطبة على قافية آخر آية منها ، فلو أن ابدع من فى مجلسه تكلّف تسمية ما قرأ القراءة آية آية على الترتيب لعجز عن ذلك فكيف بمن ينتظمها مرتجلا و يورد الخطبة الغراء بها عجلا (اَفَسِحْرٌ هٰذَا اَمْ اَنْتُمْ لَا تُبْصِرُوْنَ - اِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِيْنُ) . فحدث و لا حرج عن البحر ! و هيهات ليس

---

(١) لعله منسوب الى الشريف الرضى صاحب نهج البلاغة ، و مهيارى الانطباع منسوب الى ابى الحسين مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسى الديلمى كان مجوسيا فأسلم و يقال ان اسلامه كان على يد الشريف الرضى و عليه تخرج فى نظم الشعر و كان شاعرا جزل القول (٢) قس بن ساعدة الايادى اسقف نجران ، و كان احد حكماء العرب . و سحبان اسم رجل من وائل كان لسنا بليغا يضرب به المثل فى البيان .

الخبر عنه كالخُبر[1] . ثم انه اتى بعد ان فرغ من خطبته برقائق من الوعظ و آيات بينات من الذكر طارت لها القلوب اشتياقا و ذابت بها الأنفس احتراقا الى ان علا الضجيج و تردد بشهقاته النشيج و أعلن التائبون بالصياح، و تساقطوا عليه تساقط الفراش[2] على المصباح . كل يلقى ناصيته بيده فيجزها و يمسح على رأسه داعيا له، و منهم من يغشى عليه فيرفع فى الأذرع اليه فشاهدنا هولا يملأ النفوس انابة و ندامة و يذكرها هول يوم القيامة . فلو لم نركب ثبج[3] البحر و نعتسف[4] مفازات[5] القفر إلا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل لكانت الصفقة الرابحة و الوجهة المفلحة الناجحة . و الحمد لله على ان منّ بلقاء من يشهد الجمادات بفضله و يضيق الوجود عن مثله . و فى اثناء مجلسه ذلك يبتدرون المسائل و تطير اليه الرقاع فيجاوب اسرع من طرفة عين و ربما كان اكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل . و الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لا إله سواه .

ثم شاهدنا مجلسا ثانيا له بكرة يوم الخميس الحادى عشر لصفر بباب بدر فى ساحة قصور الخليفة و مناظره مشرفة عليه . و هذا الموضع المذكور و هو من حرم الخليفة ، خص بالوصول اليه و التكلم فيه ليسمعه من تلك المناظر الخليفة و والدته و من حضر من الحرم، و يفتح الباب للعامة فيدخلون الى ذلك الموضع و قد بسط بالحصر و جلوسه بهذا الموضع كل يوم خميس . فبكرنا لمشاهدته بهذا المجلس المذكور و قعدنا الى ان وصل

---

(١) كالخبر بالضم اى الاختبار بالمشاهدة (٢) الفراش جمع فراشة طائر صغير يتهافت على السراج فيحترق (٣) اى الوسط (٤) من الاعتساف و هو الركوب على الطريق من غير هداية و لا دراية (٥) جمع مفازة و هى الفلاة .

هذا

هذا الحبر المتكلم، فصعد المنبر و أرخى طيلسانه[1] عن رأسه تواضعا لحرمة المكان و قد تسطر القراء امامه على كراسى موضوعة . فابتدروا القراءة على الترتيب و شوقوا ما شاءوا، و أطربوا ما ارادوا و بادرت العيون بارسال الدموع . فلما فرغوا من القراءة و قد احصينا لهم تسع آيات من سور مختلفات، صدع بخطبته الزهراء الغراء و أتى بأوائل الآيات فى أثنائها منتظمات و مشى الخطبة على فقرة آخر آية منها فى الترتيب الى ان اكملها . و كانت الآية : (اَللّٰهُ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيْهِ وَ النَّهَارَ مُبْصِرًا اِنَّ اللّٰهَ لَذُوْ فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) فتمادى على هذا السين، و حسن أىّ تحسين، فكان يومه فى ذلك اعجب من امسه . ثم اخذ فى الثناء على الخليفة و الدعاء له و لوالدته، و كنى عنها بالستر الأشرف و الجناب الأرأف ثم سلك سبيله فى الوعظ . كل ذلك بديهة لا روية، و يصل كلامه فى ذلك بالآيات المقروءات على النسق مرة اخرى فأرسلت وابلها العيون، و أبدت النفوس سر شوقها المكنون، و تطارح الناس عليه بذنوبهم معترفين بالتوبة معلنين، و طاشت الألباب و العقول، و كثر الوله[2] و الذهول، و صارت النفوس لا تملك تحصيلا، ولا تميز معقولا و لا تجد للصبر سبيلا .

ثم فى اثناء مجلسه ينشد بأشعار من النسيب[3] مبرحه التشويق بديعة الترقيق، تشعل القلوب وجدا و يعود موضوعها النسيبى زهدا و كان آخر

(١) كساء اخضر يلبسه الخواص من المشايخ والعلماء وهو من لباس العجم (٢) الوله اى التحير من شدة الوجد (٣) النسيب و هو ذكر الشاعر المرأة بالحسن و الاخبار عن تصرف هواها به، و ليس هو الغزل و إنما الغزل الاشتهار بمودات النساء و الصبوة اليهن، و النسيب ذكر ذلك و الخبر عنه .

ما انشده من ذلك و قد اخذ المجلس مأخذه من الاحترام و أصابت المقاتل[1]
سهام ذلك الكلام :

ابن فؤادى اذابه الوجد   و أين قلبى فما صحا[2] بعد
يا سعد زدنى جوًى بذكرهم   بالله ! قل لى فديت يا سعد

و لم يزل يرددها و الانفعال قد أثّـر فيه و المدامع تكاد تمنع خروج الكلام من فيه الى ان خاف الإفحام، فابتدر القيام و نزل عن المنبر دهشا عجلا ، و قد أطار القلوب وجلا ، و ترك الناس على أحرّ من الجمر، يشيعونه بالمدامع الحمر، فمن معلن بالانتحاب[3] ، و من متعفر فى التراب، فيا له من مشهد ما اهول مرآه ! و ما اسعد من رآه ! نفعنا الله ببركته ، و جعلنا ممن فاز به بنصيب من رحمته بمنه و فضله !

و فى اول مجلسه انشد قصيدا نير القبس عراقى النفس فى الخليفة اوله :

فى شغل من الغرام شاغل   ما هاجه البرق بسفح عاقل

يقول فيه عند ذكر الخليفة :

يا كلمات الله كونى عوذة   من العيون للامام الكامل

ففرغ من انشاده و قد هز المجلس طربا . ثم اخذ فى شأنه و تمادى فى ايراد سحر بيانه و ما كنا نحسب ان متكلما فى الدنيا يعطى من ملكة النفوس و التلاعب بها ما اعطى هذا الرجل ! فسبحان من يخصّ بالكلام من يشاء من عباده لا إلـه غيره .

---

(١) جمع مقتل و هو العضو الذى اذا اصيب لا يكاد صاحبه يسلم (٢) افاق (٣) اى البكاء الشديد مع التنفس الشديد .

[illegible]

• ١٨٤٥

وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِى سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" . و أخبر انهم ان فعلوا ذلك أعطاهم ما يحبون من النصر و الفتح القريب. فقال: "وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا" أى و لكم خصلة أخرى تحبونها فى الجهاد و هى نصر من الله و فتح قريب . و أخبر سبحانه انه "اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ" و أعاضهم عليها الجنة ، و إن هذا العقد و الوعد قد اودعه افضل كتبه المنزلة من السماء و هى التوراة و الإنجيل و القرآن ، ثم أكد ذلك باعلامهم أنه لا احد اوفى بعهده منه تبارك و تعالى ، ثم أكد ذلك بأن امرهم بأن يستبشروا ببيعهم الذى عاقدوه عليه ، ثم اعلمهم ان ذلك هو الفوز العظيم . فليتأمل العاقد مع ربه عقد هذا التبايع ما اعظم خطره و أجله ! فان الله عز و جل هو المشترى ، و الثمن جنات النعيم و الفوز برضاه و التمتع برؤيته هناك . و الذى جرى على يده هذا العقد اشرف رسله و أكرمهم عليه من الملائكة و البشر ، و ان سلعة هذا شأنها لقد هيئت لأمر عظيم و خطب جسيم:

قد هيؤك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

مهر المحبة و الجنة بذل النفس و المال لمالكها الذى اشتراهما من المؤمنين فما للجبان المعرض المفلس و سوم هذه السلعة ، بالله ! ما هزلت فيستامها المفلسون و لا كسدت فيبيعها بالنسيئة المعسرون . لقد اقيمت للعرض فى سوق من يزيد فلم يرض ربها لها بثمن دون بذل النفوس ، فتأخر البطالون

و قام المحبون ينتظرون ايهم يصلح ان يكون نفسه الثمن . فدارت السلعة بينهم
و وقعت فى يد اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين لما كثر المدعون للمحبة
طولبوا باقامة البينة على صحة الدعوى ، فلو يعطى الناس بدعواهم لادعى الخلى
حرقة الشجى فتنوع المدعون فى الشهود فقيل لا تثبت هذه الدعوة إلا ببينة :
" قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ ". فتأخر الخلق كلهم
و ثبت اتباع الرسول فى افعاله و أقواله و هديه و أخلاقه فطولبوا بعدالة البينة ،
و قيل لا تقبل العدالة إلا بتزكية : " يُجَاهِدُونَ فِى سَبِيْلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ
لَوْمَةَ لَائِمٍ " فتأخر اكثر المدعين للمحبة و قام المجاهدون . فقيل لهم ان نفوس
المحبين و أموالهم ليست لهم فسلموا ما وقع عليه العقد فان الله اشترى
من المؤمنين انفسهم و أموالهم بأن لهم الجنة و عقد التبايع يوجب التسليم
من الجانبين . فلما رأى التجار عظمة المشترى و قدر الثمن و جلالة قدر
من جرى عقد التبايع على يديه و مقدار الكتاب الذى اثبت فيه هذا العقد
عرفوا ان للسلعة قدرا و شأنا ليس لغيرها من السلع ، فرأوا من الخسران
البين و الغبن الفاحش ان يبيعوها بثمن بخس دراهم معدودة تذهب لذاتها
و شهوتها و تبقى تبعتها و حسرتها فان فاعل ذلك معدود فى جملة السفهاء
فعقدوا مع المشترى بيعة الرضوان رضاء و اختيارا من غير ثبوت خيار
و قالوا : و الله ! لا نقيلك[1] و لا نستقيلك . فلما تم العقد و سلموا المبيع
قيل لهم قد صارت انفسكم و أموالكم لنا ، و الآن فقد رددناها عليكم اوفر
ما كانت و أضعاف اموالكم معها . " وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِيْنَ قُتِلُوا فِى سَبِيْلِ اللهِ

(1) من الاقالة .

آمواتاً بَلْ أَحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ" لم نبتغ منكم بنفوسكم و أموالكم طلبا للربح عليكم بل ليظهر اثر الجود و الكرم فى قبول المعيب و الاعطاء عليه اجل الأثمان ، ثم جمعنا لكم بين الثمن و المثمن . تأمل هاهنا قصة جابر رضى الله عنه و قد اشترى منه صلى الله عليه و آله و سلم بعيره ثم وفاه الثمن و زاده و رد عليه البعير و كان ابوه قد قتل مع النبى صلى الله عليه و سلم فى وقعة احد فذكره بهذا الفعل حال ابيه مع الله و أخبره ان الله احياه و كلمه كفاحا[1] و قال : يا عبدى ! تمن علىّ . فسبحان من عظم جوده و كرمه ان يحيط به علم الخلائق ! فقد اعطى السلعة و أعطى الثمن و وفق لتكميل العقد و قبل المبيع على عيبه و أعاض عليه اجل الأثمان ، و اشترى عبده من نفسه بماله و جمع له بين الثمن و المثمن و أثنى عليه و مدحه بهذا العقد و هو الذى وفقه الله له و شاءه منه :

فحيهلا ان كنت ذا همة فقد	حدى بك حادى الشوق فاطو المراحلا
و قل لمنادى حبهم و رضاهم	اذا ما دعا لبيك الفا كواملا
و لا تنظر الأطلال[2] من دونهم فان	نظرت الى الأطلال عدن هوائلا
و لا تنتظر بالسير رفقة قاعد	و دعه فان الشوق يكفيك حاملا
و خذ منهم زادا اليهم و سر على	طريق الهدى و الحب تصبح واصلا
و أحى بذكراهم شراك اذا دنت	ركابك فالذكرى تعيدك عاملا
و اما تخافن الكلال[3] فقل لها	أمامك ورد الوصل فابغى المناهلا
و خذ قبسا من نورهم سربه	فنورهم يهديك ليس المشاعلا

(١) مواجهة (٢) جمع طلل و هو ما شخص من آثار الدار (٣) التعب و الإعياء .

و حيّ على وادى الاراك فقل به   عساك تراهم ثم ان كنت قائلا

و إلا ففى نعمان عندى معرف الـ   ـأحبة فاطلبهم اذا كنت سائلا

و إلا ففى جمع بليلته فان   تفت فمنى يا ويح من كان غافلا

و حيّ على جنات عدن فانها   منازلك الأولى بها كنت نازلا

و لكن سباك الكاشحون لأجل ذا   وقفت على الأطلال تبكى المنازلا

و حيّ على يوم المزيد بجنة الـ   ـخلود فجد بالنفس ان كنت باذلا

فدعها رسوما دارسات فما بها   مقيل[1] و جاوزها فليست منازلا

رسوما عفت[2] ينتابها[3] الخلق كم بها   قتيل و كم فيها لذا الخلق قاتلا

و خذ يمنة عنها على المنهج الذى   عليه سرى وفد الأحبة آهلا

و قل ساعدى يا نفس بالصبر ساعة   فعند اللقا ذا الكد يصبح زائلا

فما هى الا ساعة ثم تنقضى   و يصبح ذو الأحزان فرحان جاذلا[4]

لقد حرك الداعى الى الله و إلى دار السلام النفوس الأبية و الهمم العالية و أسمع منادى الإيمان من كانت له أذن واعية و أسمع الله من كان فهزه السماع الى منازل الأبرار و حدا به فى طريق سيره فما حطت به رحاله إلا بدار القرار فقال: انتدب[5] الله لمن خرج فى سبيله لا يخرجه إلا ايمان بى او تصديق برسلى ان ارجعه بما نال من اجر او غنيمة او ادخله الجنة، ولو لا ان اشق على امتى ما قعدت خلف سرية ولوددت انى اقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم اقتل ثم احيا، و قال: مثل المجاهد فى سبيل الله كمثل الصائم

---

(١) من القيلولة اى موضع القيلولة (٢) درست و محت (٣) يأتيها مرة بعد أخرى.
(٤) فرحا (٥) اجاب.

القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام و لا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله و توكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه ان يدخله الجنة او يرجعه سالما مع اجر و غنيمة ، و قال : غدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا و ما فيها ، و قال فيما يروى عن ربه تبارك و تعالى : أيما عبد من عبادي خرج مجاهدا في سبيلي ابتغاء مرضاتي ضمنت له ان ارجعه بما اصاب من اجر او غنيمة ، و إن قبضته ان اغفر له و أرحمه و أدخله الجنة –١ .

آراء في التعليم لابن خلدون[٢]

١ – كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصيل

اعلم انه ممّا اضرّ النّاس في تحصيل العلم و الوقوف على غاياته كثرة التأليف ، و اختلافات الاصطلاحات في التعليم و تعدد طرقها ، ثم مطالبة المتعلم و التلميذ باستحضار ذلك . و حينئذٍ يسلم له منصب التحصيل ، فيحتاج المتعلم الى حفظها كلها او أكثرها و مراعاة طرقها ، و لا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة اذا تجرد[٣] لها فيقع القصور – ولابد – دون رتبة التحصيل .

و يمثل ذلك من شأن الفقه في المذهب المالكي بكتاب المدونة مثلا و ما كتب عليها من الشروحات الفقهية مثل كتاب ابن يونس ، و اللخمي و ابن بشير و التنبيهات و المقدمات و البيان و التحصيل على العتبية . و كذلك كتاب ابن الحاجب و ما كتب عليه . ثم انه يحتاج الى تمييز الطريقة

(١) زاد المعاد (٢) تقدمت ترجمته في الجزء الأول (٣) اى تفرغ لها و جد فيها .

القيروانية[١] من القرطبية[٢] و البغدادية و المصرية و طرق المتأخرين عنهم و الاحاطة بذلك كله . و حينئذ لسلم له منصب الفتيا و هى كلها متكررة و المعنى واحد و المتعلم مطالب باستحضار جميعها و تميز ما بينها و العمر ينقضى فى واحد منها .

و لو اقتصر المعلمون بالمتعلمين على المسائل المذهبية فقط لكان الأمر بدون ذلك بكثير كان التعليم سهلا و مأخذه قريبا و لكنه داء لا يرتفع لاستقرار العوائد[٣] عليه فصارت كالطبيعة التى لا يمكن نقلها و لا تحويلها .

و يمثل ايضا علم العربية من كتاب سيبويه و جميع ما كتب عليه و طرق البصريين و الكوفيين و البغداديين و الأندلسيين من بعدهم و طرق المتقدمين و المتأخرين مثل ابن الحاجب و ابن مالك و جميع ما كتب فى ذلك . و كيف يطالب به المتعلم و ينقضى عمره دونه و لا يطمع احد فى الغاية منه إلا فى القليل النادر مثل ما وصل الينا بالمغرب لهذا العهد من تأليف رجل من اهل صناعة العربية من اهل مصر يعرف بابن هشام ظهر من كلامه فيها انه استولى على غاية من ملكة تلك الصناعة لم تحصل إلا لسيبويه و ابن جنى و أهل طبقتها لعظم ملكته ، و ما احاط به من اصول ذلك الفن و تفاريعه و حسن تصرفه فيه .

و دل ذلك على ان الفضل ليس منحصرا فى المتقدمين ، سيما ما قدمناه من كثرة الشواغب[٤] بتعدد المذاهب و الطرق و التأليف . و لكن فضل الله

(١) منسوبة الى القيروان مدينة بناها عقبة بن عامر الصحابى رضى الله عنه .
(٢) منسوبة الى قرطبة (٣) جمع عادة و تجمع ايضا عادات و عاد و عيد ، و العوائد كأنه جمع عائدة و هى المنفعة (٤) جمع شاغبة وهى المهيجة و المؤدية الى الشر .

(1) [illegible] (2) [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] — ٢

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

من الموضوعات البسيطة المطولة بكثرة ما يقع فى تلك من التكرار و الاحالة المفيدين لحصول الملكة التامة . و إذا اقتصر على التكرار قصرت الملكة لقلته كشأن هذه الموضوعات المختصرة فقصدوا الى تسهيل الحفظ على المتعلمين فاركبوهم صعبا يقطعهم عن تحصيل الملكات النافعة و تمكنها و من يهدى الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادى له و الله سبحانه و تعالى اعلم .

٣ – وجه الصواب فى تعليم العلوم و طريق افادته

اعلم ان تلقين العلوم للتعلمين انما يكون مفيدا اذا كان على التدريج شيئا فشيئا و قليلا قليلا يلقى عليه أوّلا مسائل من كل باب من الفن هى اصول ذلك الباب ، و يقرب له فى شرحها على سبيل الاجمال ، و يراعى فى ذلك قوة عقله و استعداده بقبول ما يرد عليه حتى ينتهى الى آخر هذا الفن ، و عند ذلك يحصل له ملكة فى ذلك العلم إلا انها جزئية و ضعيفة ، و غايتها انها هيأته لفهم الفن و تحصيل مسائله .

ثم يرجع به الى الفن ثانية فيرفعه فى التلقين عن تلك الرتبة الى اعلى منها و يستوفى الشرح و البيان و يخرج عن الاجمال و يذكر له ما هنالك من الخلاف ، و وجهه الى ان ينتهى الى آخر الفن فتجود[1] ملكته . ثم يرجع به و قد شدّ فلا يترك عويصا و لا مهما و لا مغلقا إلّا وضّحه و فتح له مقفله فيخلص من الفن و قد استوى على ملكته . هذا هو التعليم المفيد و هو كما رأيت انما يحصل فى ثلاث تكررات و قد يحصل للبعض فى اقل من ذلك بحسب ما يخلق له و يتيسر عليه .

(١) تصير جيدة .

و قد

[illegible] (١)

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

و الوهمى بل كثيرا ما تقارن صورة صورة فى خيال ارباب صناعة خاصة او أهل عرف عام لكون صناعتهم او عرفهم جامعا بينهما و لا تقارنهما فى خيال اصحاب صناعة اخرى او أهل عرف عام آخر كالثوب يقارب الدن[١]، و العفص[٢] فى خيال الصباغ دون الخياط ، و التمر قد يقارن الجراد فى خيال العرب دون الهند . فربما يجىء الوصل لوجود الجامع الخيالى بحسب صناعة المتكلم او المخاطب او عرفه فيتلقاه العارف بالقبول و إن وقف له الجاهل موقف النكير فلا يستنكر قوله تعالى: اَفَلَا يَنْظُرُونَ اِلَى الْاِبِلِ - الآية ، إلا من يجهل ان الخطاب مع العرب و ما فى خيالهم إلا الابل ، و أرض ترعاها ، و سماء تسقيهم و إياها ، و جبال هى معاقلهم[٣] عند شن الغارات . فان العرب اعنى اهل الوبر منهم لما لم يكونوا متمدنين حتى تتيسر لهم التجارات

= ثم لازم الشيخ الأستاذ محمد افضل بن حمزة العثمانى الجونفورى و أخذ عنه و أقبل على المنطق و الحكمة إقبالا كليا حتى برز فيها و برع اقرانه و له سبع عشرة سنة . و كان غاية فى الذكاء و الفطنة و سيلان الذهن و قوة الحفظ و الإدراك . كان يحضر المجالس و المحافل فى صغره فيتكلم و يناظر و يفحم الكبار و يأتى بما يتحير منه اعيان البلدة فى العلم . قال السيد غلام على البلجرامى فى سبحة المرجان: لاريب انه لم يظهر بالهند مثل فاروقيين : احدهما فى الحقائق و هو مولانا الشيخ احمد السرهندى رحمه الله ، و الثانى فى العلوم الحكمية و الأدبية وهو الملا محمود الجونفورى. وله مصنفات عديدة اشهرها: الشمس البازغة فى الحكمة ، و الفرائد شرح الفوائد ؛ و هذا الفصل مأخوذ منه . وتوفى لتسع خلون من ربيع الأول سنة اثنتين و ستين و ألف بمدينة جونفور .

(١) الراقود العظيم لايقعد إلا ان يحفر له ج دنان (٢) دواء معروف يقال له بالفارسية مازو (٣) جمع معقل الملجأ .

التى انما تربح و تروج فى المدن و الصناعات التى إنما تتعلم و تنتفع بها غالبا فيها و لا كانت أراضيهم جيدة الإنبات ، طيبة النبات ، غزيرة[١] الحياض و الآبار، كثيرة العيون و الأنهار حتى يتمكنوا من الزراعة و الفلاحة لا جرم نيطت معيشتهم بالمواشى . و لما كانت الإبل اجلها منفعة و أقلها مؤنة عقدت بها هممهم فهى اول ما هو مركوز فى ضمائرهم مستحضر فى خواطرهم . ثم لما كان بقاؤها و الانتفاع بها لا يتحصل إلا بأن ترعى و تشرب كان جلّ مرمى غرضهم نزول المطر و أهم مسارح[٢] نظرهم السماء ثم لاضطرارهم الى التحصن لشن الغارات بينهم و شيوع الواقعات فيهم اذ لم يكونوا متدينين فى الجاهلية بشريعة تزجرهم عن المفسدة ، و لا منقادين لسياسة تحجز[٣] عن الفتنة كانت اعناق قلوبهم ممتدة الى الجبال التى هى معاقلهم و حصونهم . و إذ تعذر طول مكثهم بمواشيهم فى منزل كان التنقل من أرض تمتعوا بماءها و مرعاها الى ارض معشبة[٤] سواها من عزم الأمور عندهم . فلذلك أمروا فى مقام الاستدلال بالأثر على المؤثر بالنظر فى اقرب الصور حضورا عندهم فالأقرب على الترتيب ، و لك ان تقول اقرب الصور عندهم هى الإبل . ثم لما كانت السماء و الجبال و الأرض مستحضرة عندهم بعدها انتقل اليها من اعلاها الى اسفلها بالترتيب ، و إذ قد عرفت عدم انضباط الخيالات و اختلافها باختلاف العادات مع ابتناء ما هو من معضلات[٥] مباحث الفن اعنى معرفة حسن الوصل و قبحه على معرفتها جدا علمت احتياج صاحب المعانى الى

---

(١) كثيرة (٢) هى المواضع التى يجول فيها النظر (٣) تمنع (٤) كثيرة العشب .
(٥) مشكلات .

بذل

بذل الجهد فی التدرب[1] فیها ، و لها فی فن البلاغة منافع اخر مهمة فان التبحر فی التشبیهات و الاستعارات و غیرها من شعوب الکلام ایضا مبنی علی معرفة الصور الخیالیة و وضوحها و خفائها و تناسبها و تجانبها .

و لا بأس فی ان نملی علیك من ملح الأخبار و الأشعار ما یفیدك زیادة فی الاستبصار :

یحکی ان صاحب سلاح ملك و صائغا و صاحب بقرة و معلم صبیة[2] انتظمهم سلك طریق فرکبوا مرکب الجد و وصلوا سیر النهار بسیر اللیل الألیل[3]. فبیناهم فی وحشة الظلام و مقاساة خوف الضلال و الزلل آنسهم البدر بوجهه الکریم و أضاءت لهم انواره کل مظلم بهیم[4]، فأفاض کل منهم فی ثنائه و ترشیح بأحلی ما فی انائه فشبهه السلاحی بالترس المذهب یرفع عند الملك، و الصائغ بالسبیکة من الابریز تفتر عن وجهها البوتقة[5]، و البقار بالجبن الأبیض یخرج من قالبه طریا[6] و المعلم برغیف احمر یصل الیه من بیت ذی مروءة .

و یحکی عن وراق یصف حاله : عیشی اضیق من محبرة[7]، و جسمی ادق من مسطرة[8]، و جاهی ارق من الزجاج ، و حظی اخفی من شق القلم ، و بدنی اضعف من قصبة ، و طعامی امر من العفص ، و شرابی اشد سوادا من الحبر[9] ، و سوء الحال الزم بی من الصمغ- و روی لحداد :

---

(۱) ای التعود (۲) جمع صبی (۳) ای الطویل الشدید السواد (٤) ای الأسود . (٥) الوعاء الذی یذیب فیه الصائغ المعدن (٦) غضّا لینا (۷) الدواة (۸) ما یسطّر به الکُتّاب (۹) المداد.

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وقد نشرت أيدى الجنوب[1] مطارفا[2] على الجو دكنا[3] والحواشى على الأرض
يطرزها قوس السحاب بأحمر على أصفر فى أخضر تحت مبيض
كأذيال خود[4] أقبلت فى غلائل[5] مصبغة و البعض أقصر من بعض[6]

ان هذا من التشبيهات الملوكية التى لا يكاد يحضر مثلها للسوقة[7] .

و بالجملة فان تخالف الأنام فى شجون[8] الكلام يبتنى غالبا على اختلاف الصور فى خزائن خيالاتهم غيبة و حضورا و خفاء و ظهورا و ائتلافا و اختلافا لتباين مذاهبهم و اختلاف مشاربهم .

و من هاهنا ترى الشعراء من العرب العرباء قلما يجاوزون ذكر النوق و الجمال و الأودية و الجبال و البطائح[9] و الرمال و الدمن[10] و الأطلال[11] ، و يلوح من أشعارهم آثار الجدب و الجوع و حرش الضب و اليربوع و استيطان المفازة و البوادى و الاستئناس بالوحوش الصوادى[12] لكن الله تعالى لين لهم الحديد و هون عليهم الشديد فترى كلامهم اسهل من الماء مع أنه اجزل

---

(١) بالفتح الريح التى تقابل الشمال (٢) جمع مطرف بكسر الميم وضمها رداء من خز ذو أعلام (٣) جمع ادكن من الدكنة و هو لون يضرب الى السواد (٤) المرأة الشابة . (٥) جمع غلالة شعار يلبس تحت الثوب (٦) يقول ان الساقى لما كان فى سنة الغمض و طاف بكأسات العقار فى تلك الحالة لم يتمالك عن كأسات العقار المتلألأة كالأنجم فمنها ماكانت ساقطة من يده كالكوكب المنقض من السماء مجتمعا و منها ماكانت متفرقة رشحاتها كالكوكب المتفرق نوره فى الجو (٧) الرعية (٨) جمع شجن بالتحريك الغصن و منه الحديث ذو شجون (٩) جمع بطحاء مسيل واسع فيه رمل و دقاق الحصى . (١٠) جمع دمنة وهى آثار الدار (١١) جمع طلل و هو الشاخص من الآثار (١٢) جمع صادية من الصدى و هو العطش .

كما اداها الينا اسلافنا سالمة غير مأروضة[1] ، و لا متأكّلة[2] ، فان فعلنا فذاك
اولا فرحمة الله على الصدق و الوفاء و سلام على الكتاب الأمناء !

الأمة المصرية امة مسلمة شرقية فيجب ان يبقى لها دينها و شرقيتها
ما جرى نيلها فى ارضها ، و ذهبت اهرامها[3] فى سمائها ، حتى تبدّل الأرض
غير الأرض و السماوات . ان خطوة واحدة يخطوها المصرى الى الغرب
تدنى اليه اجله و تدنيه من مهوى[4] سحيق[5] يقبر فيه قبرا لا حياة من بعده
الى يوم يبعثون .

لا يستطيع المصرى – و هو ذلك الضعيف المستسلم – ان يكون من
المدنية الغربية ان داناها الا كالغربال[6] من دقيق الخبز يمسك خشاره[7] ،
و يفلت لبابه ، او الراووق[8] من الخمر يحتفظ بعقاره و يستهين برحيقه ،
فخير له ان يتجنبها جهده ، و أن يفر منها فرار السليم من الأجرب[9] .

يريد المصرى ان يقلّد الغربى فى نشاطه و خفته ، فلا ينشط إلا فى
غدواته و روحاته ، و قعدته و قومته ، فاذا جد الجد و أراد نفسه على
ان يعمل عملا من الأعمال المحتاجة الى قليل من الصبر و الجلد[10] دب الملل
الى نفسه دبيب الصهباء[11] فى الأعضاء ، و الكرى[12] بين اهداب[13] الجفون .

---

(1) التى اكلتها الأرضة (2) المنخورة (3) جمع هرم و هو المخروط المضلع الذى
تكون قاعدته مثلثة او مربعة او كثيرة الأضلاع و هى مقابر الملوك المشهورة فى
مصر (4) ما بين الجبلين و نحو ذلك ج مهاوٍ (5) البعيد (6) المنخل ج غرابيل .
(7) الردىء من كل شىء ، ما لا لب له من الشعير (8) المصفاة (9) من اصابه
الجرب (10) الصبر و القوة (11) الخمر (12) النوم (13) جمع هدب و هو شعر اشفار
العينين .

يريد ان يقلّده فى رفاهيته و نعمته فلا يفهم منهما ان الأولى التأنث فى الحركات و الثانية الاختلاف الى مواطن الفسق و مخابىء[١] الفجور .

يريد ان يقلّده فى الوطنية فلا يأخذ منها إلا نعيقها[٢] و نعيبها ، و ضجيجها[٣] و صفيرها فاذا قيل له : هذه المقدمات فأين النتائج ؟ اسلم رجليه الى الرياح الأربع و استن[٤] فى فراره استنان المهر[٥] الارن[٦] فاذا سمع صفير الصافر مات وجلا ، و إذا رأى غير شىء ظنه رجلا .

يريد ان يقلّده فى السياحة فلا يزال يترقب فصل الصيف ترقب الأرض الميتة فصل الربيع ، حتى اذا حان حينه طار الى مدن اوربا طيران حمام الزاجل[٧] لا يبصر شيئا مما حوله ، و لا يلوى على شىء مما وراءه ، حتى يقع على مجامع اللهو و مكامن الفجور و ملاعب القمار ، و هنا يبذل من عقله و ماله ما يعود فقير الرأس و الجيب ، لا يملك من الأول ما يقوده الى طريق السفينة التى تحمله فى اوبته ، و لا من الثانى اكثر من الجعالة[٨] التى يجتعلها[٩] منه صاحب الجريدة ليكتب له بين حوادث صحيفته حادثة عودته موشّاة[١٠] بجمل الاجلال و الاحترام مطرزة[١١] بوشائح[١٢] الاكرام و الاعظام .

---

(١) جمع مخبأ و هو موضع الاختباء (٢) صوت الغراب و كذا النعيب (٣) الصياح .
(٤) استن الفرس فى جريه اى عدا اقبالا و إدبارا (٥) ولد الفرس ج مهار و أمهار و مهارة (٦) النشيط (٧) هو الذى يعودونه الطيران برسائل يعلقونها بعنقه الى حيث عودوه ان يطير (٨) بتثليث الجيم اجر العامل (٩) اى يأخذها (١٠) المنقشة يقال وشّى الثوب اى حسّنه بالألوان و نمنمه و نقشه (١١) المزينة بالخيوط الملونة والرسوم وماشا كلها (١٢) جمع وشاح بضم الواو و كسرها شبه قلادة من نسيج عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها و كشحيها و يجمع ايضا على وُشح و أوشحة .

ان دعوناهم الى الحضارة فلنضرب لهم مثلا بحضارة بغداد و قرطبة و ثيبة و فينيقيا لا باريس و رومة و سويسرة و نيويورك . و إن دعوناهم الى مكرمة فلنتل عليهم آيات الكتب المنزلة و أقوال انبياء الشرق و حكمائه ، لا آيات روسو و باكون و نيوتن و سبنسر . و إن دعوناهم الى حرب ففى تاريخ خالد بن الوليد و سعد بن ابى وقاص و موسى بن نصير و صلاح الدين ما يغنينا عن تاريخ نابليون و ولنجتون و واشنطون و نلسن و بلوخر ، و فى وقائع القادسية و عمورية و إفريقية و الحروب الصليبيّة ما يغنينا عن وقائع واترلو و ترافلغار و أوسترليتز و السبعين .

ان عارا على التاريخ المصرى ان يعرف المسلم الشرقى فى مصر من تاريخ بنوبارت ما لا يعرف من تاريخ عمرو بن العاص ، و يحفظ من تاريخ الجمهورية الفرنسية ما لا يحفظ من تاريخ الرسالة المحمدية ، و من مبادى ديكارت و أبحاث درون ما لا يحفظ من حكم الغزالى و أبحاث ابن رشد ، و يروى من الشعر لشكسبير و هوجو ما لا يروى للمتنبى و المعرّى .

لا مانع من ان يعرّب لنا المعرّبون المفيد النافع من مؤلفات علماء الغرب و الجيد الممتّع من ادب كتّابهم و شعرائهم على ان ننظر فيه نظر الباحث المنتقد لا الضعيف المستسلم ، فلا نأخذ كل قضية علمية مسلّمة و لا نطرب لكل معنى ادبى طربا متهوّرا ، و لا مانع من ان ينقل الينا الناقلون شيئا من عادات الغربيين و مصطلحاتهم فى مدنيتهم على ان ننظر اليه نظر من يريد التبسط فى العلم و التوسع فى التجربة و الاختبار ، لا على ان نتقلدها و ننتحلها و نتخذها قاعدتنا فى استحسان ما نستحسن من شؤوننا و استهجان ما نستهجن من عاداتنا .

و بعد

و بعد فيعلم كتاب هذه الأمة و قادتها انه ليس فى عادات الغربيين و أخلاقهم الشخصية الخاصة بهم ما نحسدهم عليه كثيرا ، فلا يخدعوا امتهم عن نفسها و لا يفسدوا عليها دينها و شرقيتها ، و لا يزيّنوا لها تلك المدنيّة تزيينا يرزؤها فى استقلالها النفسى ، بعد ما رزأتها فى استقلالها الشخصى – ١ .

وحي الهجرة للسيد مصطفى صادق الرافعى [٢]

نشأ النبى (صلى الله عليه و سلم) فى مكة ، و استنبئ على رأس الأربعين من سنّه ، و غبر [٣] ثلاث عشرة سنة يدعو الى الله قبل ان يهاجر الى المدينة ، فلم يكن فى الاسلام اول بدأته إلّا رجل و امرأة و غلام ، اما الرجل فهو هو (صلى الله عليه و سلم) ، و أما المرأة فزوجه خديجة ، و أما الغلام فعلىّ ابن عمه ابى طالب .

ثم كان اول النموّ فى الاسلام بحرّ و عبد ! اما الحر فأبو بكر ، و أما العبد فبلال . ثم اتسق [٤] النموّ قليلا قليلا يبطء الهموم فى سيرها و صبر الحر

---

(١) النظرات (٢) السيد مصطفى صادق الرافعى اديب راسخ لا يزلّ و لا ينحرف ، و صيرفى حاذق . كان كلماته دنانير مصقولة ، يلفظ الدر و ينفث السحر و إذا حكى حادثة قديمة او بنى على اساس رواية تاريخية او جماة فكأنما ردّ التاريخ على أعقابه ، و إذا قلد ابن المقفع او تنكّر به فكأنما ابرز نسخة خطية لكتاب "كليلة و دمنة" و ناهيك بما قال الأمير شكيب ارسلان ما معناه ان العربية لم تنجب مثله من عدة قرون الا انه قد يغلو فى التفلسف فى الأدب و يعقّد . توفى فى العاشر فى مايو سنة ١٩٣٧م . له إعجاز القرآن ، و وحى القلم مجموع مقالات له ، و رسائل ادبية عديدة (٣) مكث بابه نصر (٤) انتظم .

[illegible]

[illegible]

هذا المعنى كعمر طفل وُلد و نشأ و أحكم تهذيبه بالحوادث حتى تسلمته[1]
الرجولة الكاملة بمعانيها من الطفولة الكاملة بوسائلها .

أفليس هذا فصلا فلسفيا دقيقا يعلّم المسلمين كيف يجب ان ينشأ المسلم
غناه فى قلبه، و قوته فى ايمانه، و موضعه فى الحياة موضع النافع قبل
المنتفع، و المصلح قبل المقلّد، و فى نفسه من قوة الحياة ما يموت به فى
هذه النفس اكثر ما فى الأرض و الناس من شهوات و مطامع ؟

ثم أليست تلك العوامل الأخلاقية هى هى التى القيت فى منبع التاريخ
الاسلامى ليعبّ[2] منها تيّاره[3]، فتدفعه فى مجراه بين الأمم، و تجعل من
اخص الخصائص الاسلامية فى هذه الدنيا – الثبات على الخطوة المتقدمة
و إن لم تتقدم، و على الحق و إن لم يتحقق، و التبرؤ من الاثرة[4] و إن شحت
عليها النفس، و احتقار الضعف و إن حكم و تسلط، و مقاومة الباطل و إن
ساد و غلب، و حمل الناس على محض الخير و إن ردّوا بالشر، و العمل
للعمل و إن لم يأت بشىء، و الواجب للواجب و إن لم يكن فيه كبير فائدة،
و بقاء الرجل رجلا و إن حطّمه كل ما حوله ؟

ثم هى هى البرهانات القائمة للدهر قيام المنارة فى الساحل – على نبوة
محمد صلى الله عليه و سلم – تثبت ببرهان الفلسفة و علوم النفس انه روح
و غاياتها المحتومة بالقدر لا جسم و وسائله المتغلبة بالطبيعة، و لو كان رجلا
ابتعثته نفسه، لتمحّل[5] الحيل لسياسته و لا حدث طمعا من كل مطمع و لركد

---

(١) قبضته (٢) عب البحر عُبابا كثر موجه و ارتفع بابه نصر (٣) موج البحر الهائج.
(٤) اختصاص المرء نفسه بأحسن الشىء دون غيره (٥) احتال فى الطلب .

مع الحوادث و هبّ، و لما استمر طوال هذه المدّة لا يتجه و هو فرد الا اتجاه الانسانية كلها كأنما هو هى .

و لو هو كان رجل الملك او رجل السياسة لاستقام و التوى[1] و لأدرك ما يبتغى فى سنوات قليلة و لا وجد الحوادث يتعلق عليها، و لما افلت[2] ما كان موجودا منه يتعلق به، و لما انتزع نفسه من محله فى قومه و كان واسطة فيهم، و لا ترك عوامل الزمن تبعده و هى كانت تدنيه .

قالوا : ان عمه ابا طالب بعث اليه حين كلمته قريش فقال له : يا ابن اخى! ان قومك قد جاءونى فقالوا لى كذا و كذا فابق[3] علىّ و على نفسك و لا تحملنى من الأمر ما لا اطيق . فظن رسول الله (صلى الله عليه و سلم) انه قد بدا لعمه فيه بداء[4] و أنه خاذله و مسلمه، و أنه قد ضعف عن نصرته و القيام معه، فقال : يا عماه ! لو وضعوا الشمس فى يمينى و القمر فى يسارى على ان اترك هذا الأمر حتى يظهره الله او أهلك فيه ما تركته . ثم استعبر[5] صلى الله عليه و سلم فبكى .

يا دموع النبوة ! لقد اثبتّ ان النفس العظيمة لن تتعزى[6] عن شيء منها بشيء من غيرها كائنا ما كان لا من ذهب الأرض و فضتها، و لا من ذهب السماء و فضتها اذا وضعت الشمس فى يد و القمر فى الأخرى .

و كل حوادث المدة قبل الهجرة على طولها ليست إلا دليل ذلك الزمن على انه زمن نبىّ، لا زمن ملك او سياسىّ او زعيم . و دليل الحقيقة على ان هذا اليقين الثابت ليس بيقين الانسان الالهى من جهة قوته بل يقين

---

(١) انعطف (٢) فات و سبق (٣) ابقِ عليه رحمه و شفق عليه (٤) اى نشأ له رأى جديد فيه و هذا كما يقولون : رجع عن رأيه (٥) اى جرت عبرته (٦) لن تتصبر .

الانسان الالهي من جهة قلبه، و دليل الحكمة على ان هذا الدين ليس من العقائد الموضوعة التي تنشرها عدوى النفس للنفس، فها هو ذا لا يبلغ اهله في ثلاث عشرة سنة اكثر مما تبلغ اسرة تتوالد في هذه الحقبة، و دليل الانسانية على انه وحي الله بايجاد الاخاء العالمي و الوحدة الانسانية، افلم يكن خروجه عن موطنه هو تحققه في العالم؟

ثلاث عشرة سنة، كانت ثلاثة عشر دليلا تثبت ان النبي (صلى الله عليه و سلم) ليس رجل ملك، و لا سياسة، و لا زعامة، و لو كان واحدا من هؤلاء لأدرك في قليل، و ليس مبتدع شريعة من نفسه و إلا لما غبر في قومه و كأنه لم يجدهم و هم حوله. و ليس صاحب فكرة تعمل اساليب النفس في انتشارها، و لو كان لحملهم على محضها[1] و ممزوجها، و ليس رجلا متعلقا بالمصادفات الاجتماعية، و لو هو كان لجعل ايمان يوم كفر يوم، و ليس مصلح عشيرة يهذب منها على قدر ما تقبل منه سياسة و مخادعة، و لا رجل وطنه تكون غايته ان يشمخ[2] في ارضه شموخ جبل فيها دون ان يحاول ما بلغ اليه من اطلاله[3] على الدنيا اطلال السماء على الأرض، و لا رجل حاضره اذا كان واثقا دائما ان معه الغد و آتيه، و إن ادبر عنه اليوم و ذاهبه، و لا رجل طبيعته البشرية يلتمس لها ما يلتمس الجائع لبطنه، و لا رجل شخصيته يستهوي بها و يسحر، و لا رجل بطشه يغلب به و يتسلط، و لا رجل الأرض في الأرض و لكن رجل السماء في الأرض.

هذه هي حكمة الله في تدبيره لنبيه قبل الهجرة! قبض عنه اطراف الزمن،

---

(١) الخالص الذي لم يخالطه غيره ج محاض (٢) يعلو بابه فتح (٣) اشرافه.

و حصره من ثلاث عشرة سنة فى سنة واحدة ، لا تصدر به الأمور مصادرها كى تثبت انها لا تصدر به ، و لا تستحق به الحقيقة على انها ليست من قوته و عمله .

و كان (صلى الله عليه و سلم) على ذلك و هو فى حدود نفسه و ضيق مكانه يتسع فى الزمن من حيث لا يرى ذلك احد و لا يعلمه ، و كأنما كانت شمس اليوم الذى سينتصر فيه قبل ان تشرق[1] على الدنيا بثلاث عشرة سنة مشرقة فى قلبه صلى الله عليه و سلم .

و الفصل من السنة لا يقدمه الناس و لا يؤخرونه لأنه من سير الكون كله و السحابة لا يشعلون برقها بالمصابيح و مع النبى من مثل ذلك برهان الله على رسالته الى ان نزل قوله تعالى :

وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ

فحلّ الفصل و انطلقت الصاعقة و كانت الهجرة .

تلك هى المقدمة الالهية للتاريخ ، و كان طبيعيا ان يطّرد التاريخ بعدها حتى قال الرشيد للسحابة : و قد مرت به امطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك –٢ .

---

(١) تضىء (٢) وحى القلم للرافعى ج ٢ .

تحية الأندلس للأستاذ محمد كرد علي[1]

عشقتها و لم تسعدني[2] الأيام بامتاع[3] النظر في جمالها، و استطلعت[4]
طلع اخبارها فروى الرواة عنها عجائب اقلها بما يستهوي النفوس
المتمردة و يأخذ بمجامع القلوب الجافة العاصية، تفردت بين بنات

---

(١) هو محمد كرد علي بن عبد الرزاق التاجر. أصله من أكراد الأيوبية. ولد سنة ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م)، أتم الدراسة الرشدية و دراسة الثانوية و أفاد من العلامة الشيخ طاهر الجزائري و السيد سليم البخاري و الشيخ محمد المبارك و تعلم الفرنسية. و كتب و هو في السادسة عشرة من عمره وحرّر اول جريدة ظهرت في دمشق وكتب في مجلة «المقتطف» و بذلك امتدّت شهرته؛ و سافر الى مصر و حضر دروس الشيخ محمد عبده و تولّى تحرير جرائد و مجلات في مصر، وأصدر «المقتبس» اليومي من دمشق، وزار باريس سنة ١٩٠٩م و بعد انتهاء الحرب العمومية الأولى دخل في رئاسة ديوان المعارف، وفي سنة ١٩١٩م اقترح انشاء مجمع علمي عربي و اختير اول رئيس له، و اختير مرتين للوزارة طاف في خلالها الأقطار الأوربية و توفي في ٢ نيسان ١٩٥٣م و هو في السابعة و السبعين ودفن في مقبرة الباب الصغير بجوار قبر معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

كان الأستاذ محمد كرد علي صحفيا و منشئا مترسّلا بعمل الثقافة الغربية الجديدة، و الثقافة العربية القديمة، يمتاز أسلوبه بالرقّة من غير تفخيم و سهولة في التعبير من غير تكلف و يرسل النفس على سجيتها. ومن أعظم كتبه «خطط الشام» في ستة أجزاء واسعة، و «الاسلام و الحضارة العربية» في جزءين، و هو كتاب يرجو به من الله خيرا للدفاع عن الإسلام و بيان محاسنه، و «أمراء البيان» في جزءين و «كنوز الأجداد» وحقق كتبا كثيرة و نشرها مصححة و منقحة.

(٢) اسعده على الأمر عاونه و أسعده الله جعله سعيدا (٣) التمتع (٤) استطلع رأي فلان و استطلعه رأيه نظر ما عنده من رأي والطِّلع بكسر الطاء الاسم من اطّلع.

لم يتيسر لها حتى يوم الناس هذا ان تبلغ مكانة الأندلس، فكان هذا الصقع[١]
فى منقطع ارض المغرب و آخر ارض العرب بين البحرين المحيط و المتوسط
برهانا ازليا على فرط استعداد العرب للعلوم و الصناعات و ناعيا على من انكروا
لافراطهم فى الشعوبية[٢] فضل هذه الأمة على الحضارة .

اقام الغربيون ضروبا من المصانع من بيع[٣] و أديار ومتاحف[٤] و مكاتب
و مدارس و جسور و سدود و طرق و معابر و تماثيل و نصب[٥] و برك،
لكنهم لم يضعوا على كثرة تفننهم فى هذا الشأن، منذ عهد اليونان و الرومان،
طرزا من البناء يكلمك و لا لسان له فيقول، و ينظر اليك فيعمل فى شغاف[٦]
قلبك و لا عين له فينظر، و يطربك بتساوق[٧] نغماته من دون ما صنّاجة[٨]
و لا وتر و لا الحان .

مصانع كثيرة بقيت بقاياها فى طليطلة و قرطبة و إشبيلية و غرناطة
سلبتها الفتن و الجهل تارة شطرا من بهائها، و سالمتها حينا فأبقت عليها،
او رممت شيئا مما اضرت به عوامل الأيام و إن لم تعد اليها نضرتها الأولى .

سلام على ارض طيبة خصها الخالق بأجمل الهبات الطبيعية الطيبة، فلم ينقصها
زكاء تربة فى نجادها[٩] و وهادها[١٠]، و لا مياها عذبة دافقة من هضابها[١١] على

---

(١) بالضم الناحية ج اصقاع (٢) العصبيه للجنسية و القومية و غالبا يستعملون هذه الكلمة لتصغير شأن العرب وعدم تفضيلهم على العجم (٣) جمع بيعة معبد للنصارى واليهود و يجمع ايضا على بِيْعات وبِيَعات (٤) جمع متحف وهو المكان الذى يوضع فيه الأشياء النادرة والنفيسة و المراد به دار الآثار (٥) كل ما جعل علما (٦) بالفتح غلاف القلب، حبة القلب ج شُغُف وأشغفة (٧) التتابع (٨) آلة غناء (٩) جمع نجد ما اشرف من الأرض وارتفع (١٠) جمع وهدة الأرض المنخفضة (١١) جمع هضبة =

شعابها[1]، و لا اشجارا باسقة و زروعا خصبة فى سهلها و وعرها[2]، و لا اعتدال مواسم و جمال اقليم، و مصحة[3] ابدان زانها الصانع السماوى بايجاده كما زانها الصانع الأرضى بابداعه و ما اجمل الطبيعى و الصناعى، اذا تواعدا الى الاجتماع فى خير البقاع .

ليالى الانس، فى جزيرة الأندلس، و أيامها الغرّ، فى سالف الدهر، فيك قامت سوق الآداب، بما ارتفعت به رؤوس العرب على غابر الأحقاب، و كمل فى ربوعك[4] الذوق العربى حتى ظن بعضهم انك نسيت كلّ شيء ما عدا الأدب، و ما هذه الآثار الأبدية إلّا ثمرة علمك و صناعاتك و زراعاتك .

سلام على ارواح علمائك، و فلاسفتك و نوابغك و أدبائك و أمرائك ما كان ارجح احلامهم، يوم سنوا للعرب سنة الأخذ من السعادتين، و شرعوا لهم شرعة المدنية المثلى[5]، حملوا فأجملوا من الشرق الى الغرب تعاليم فى الدين و الدنيا . كانت صفوة العقول الى عهدهم فادهشوا من عاصرهم، و خلفوا من الأجيال، و نسجوا لهم على غير مثال نسيجا رقيقا، كتبوا لهم فيه سجلّا رقت حواشيه، و نظاما متقنا فى حكم الانسان للانسان، يطبع فى تاليه اذا تدبره طبيعة حسن الذوق و الطبع، و ينشئه على ارق مثال من الخيال فى الكمال و الجمال، مثال حيّ من حضارة العرب فى القارة الأوربية

= ما ارتفع من الأرض ويجمع ايضا على هِضَب و هَضْب وجج اهاضيب .

(١) جمع شعب ما انفرج بين الجبلين (٢) المكان الصلب ضد السهل ج اوعُر و وعور و أوعار و وُعورة (٣) بفتح الصاد و كسرها ما يجلب الصحة و يحفظها وأرض مصحة بريئة من الوباء (٤) جمع ربع الدار ويجمع ايضا على رِباع و أَرْبُع و أرباع (٥) مؤنث الأمثل وهو الأفضل .

اختلاف انظار المسلمين في الاسلام والقرآن

للدكتور أحمد امين[١]

و مسألة اخرى كبيرة الأهمية فى عصرنا[٢] الذى نؤرخه تلك هى ان تصور كثير من المسلمين للاسلام فى ذلك العصر يختلف عن تصور المسلمين له فى العصور الأولى . فحياة العربى الساذجة البسيطة السهلة تعقدت، و الديانات المختلفة تسربت، و الأعاجم الذين كانوا وثنيين[٣] او مانويين[٤] او نحوهم دخلوا فى الإسلام و لم تُنَقَّ رؤوسهم من كل ما علق بها من الديانات القديمة و قد عاشوا فى المدنيات المركبة المعقدة؛ فنظروا الى الاسلام بعيونهم لا بالعين العربية الأولى . و حق ما يقال: إن الأمم و إن اتحدت دينا فكل امة يختلف نظرها فى تفاصيل دينها عن الأمم الأخرى، و هى تنظر الى الدين من خلال تاريخها و نظمها الاجتماعية، من خلال اديانها المتعاقبة، و من خلال لغاتها و تقاليدها، و من خلال ثقافتها و تربيتها – الى غير ذلك . كل المسلمين يقولون: "لا إله إلّا الله محمد رسول الله" و لكن نظر العالم الواسع الثقافة الى الاسلام غير نظر العامى الجاهل، و كلاهما غير نظر الصوفى، و هكذا. بل نظر المسلمين من المصريين – على وجه العموم – الى الإسلام يختلف فى تفاصيله عن نظر الهنود المسلمين و الأتراك المسلمين، لأن كل امة تداول[٥] عليها من العوامل ما يخالف غيرها . و ذلك – من غير شك – خالف بين

---

(١) راجع الجزء الأول (٢) العصر العباسى (٣) عبدة الأوثان (٤) اتباع مانى .

(٥) تعاقب .

انظارهم و عقلياتهم و الناس كانوا ينظرون الى الاسلام نظرا يختلف باختلاف
العصور . يعجبنى فى ذلك ما رواه البخارى و الترمذى عن انس بن مالك
(المتوفى سنة ٩٠ ه) قال: ما اعرف شيئا مما كان على عهد رسول الله صلى الله
عليه و سلم، قيل: الصلاة ؟ قال : أليس صنعتم ما صنعتم فيها[١] . فأنس
رضى الله عنه قد شاهد عصر النبى صلى الله عليه و سلم و عصر الأمويين و مع
قرب العصرين لاحظ اختلاف الأنظار و الأعمال، فكيف اذا شاهد العباسيين
و من بعدهم . قد كان الاسلام سهلا يسيرا ، يقول رسول الله صلى الله عليه
و سلم : إن هذا الدين يسر و لن يشادّ الدين احد إلّا غلبه ، و يقول:
لا تشددوا على انفسكم فيشدد عليكم فانّ قوما شددوا على انفسهم فشدد
عليهم فتلك بقاياهم فى الصوامع و الديار رهبانية ابتدعوها ما كتبنا عليهم[٢].
و كان القاسم بن محمد يلبس الخز و سالم بن عبد الله يلبس الصوف و يقعدان
فى مسجد المدينة فلا ينكر هذا على هذا و لا ذا على هذا[٣] . و كان هناك
نزعة لبعض الصحابة فى الغلو فى الدين فقاومها رسول الله صلى الله عليه و سلم
كالذى كان بينه و بين عبد الله بن عمرو ، فقد بلغه أنه لا ينام و لا يُفطر
و لا يؤدى حقوق اهله إنهماكا فى العبادة . فقال له رسول الله صلى الله عليه
و سلم : يا عبد الله ! إن لك فى رسول الله اسوة حسنة ! فرسول الله يصوم
و يفطر و يأكل اللحم و يؤدى الى اهله حقوقهم . يا عبد الله ! إن لله
عليك حقا ، و إن لبدنك عليك حقا ، و إن لأهلك عليك حقا .
و بعد هذا رأينا تشددا فى دين، و ابتداعا لتقاليد، و غلوا فى نواح مختلفة ،

---

(١) باب الاعتصام بالسنة (٢) اخرجه ابو داود (٣) العقد الفريد (١/٢٥٠) .

منهم من يلبس الصوف و يلتزمه، و منهم من يغلو فى الإنكار على لابسيه. قدم حماد بن سلمة البصرة، فجاءه فرقد السنجى و عليه ثياب صوف فقال له حماد: دع عنك نصرانيتك[1]! و قال ابن السماك لأصحاب الصوف: و الله! لئن كان لباسكم وفقا لسرائركم فقد احببتم ان يطّلع الناس عليها، و إن كان مخالفا لقد هلكتم. و كان بعض الموالى يتشدد فى الوضوء و الطهارة، و يغلو فى ذلك غلوا لا يعرفه العرب فكان العرب يكرهون منهم ذلك[2] الى كثير من امثال هذا.

و هناك ما هو أهم من هذا، ذلك ان الناس فى عصر النبى صلى الله عليه و سلم و بعده كانوا يقرءون القرآن او يسمعونه فيُعنَون بتفهم روحه، فان عنى علماؤهم بشيء من وراء ذلك فما يوضح الآية من سبب للنزول او استشهاد بأبيات من اشعار العرب تفسر لفظا غريبا، او أسلوبا غامضا[3]. و أكثر ما روى لنا فى الطبرى و غيره عن الصحابة فى تفسير القرآن هو من هذا القبيل، و ما عرفنا فى العصر الأول انحياز[4] الصحابة الى مذاهب دينية و آراء فى الملل و النحل. فلما كان فى آخر العصر الأموى رأينا الكلام فى القدر، و رأينا المتكلمين فيه ينظرون الى القرآن من خلال عقيدتهم. فمن قال بالجبر أوّل كل آيات الاختيار، و من قال بالاختيار أوّل كل آيات الجبر. و سال بعد ذلك السيل فى العصر العباسى فصارت كل طائفة و أصحاب كل مذهب ينظرون اليه من خلال مذاهبهم. و لئن كان هذا النظر أفاد من ناحية الجدال بين المسلمين و غيرهم و الدعوة الى الإسلام – كما بينا فى

---

(١) العقد الفريد (١/٢٥٠) (٢) انظر العقد (٢/٩١) (٣) اى خفيا (٤) اى ميلان الصحابة.

موقف المعتزلة – فقد أساء باضعاف الروح الدينية و ما كانت لوحيه من إحياء القلب . اصبح علماء الكلام و المذاهب الدينية ينظرون الى القرآن من خلال الفلسفة اليونانية ، و ذلك ان كان فيه مران عقلى و توسيع لبعض مناحى الفكر ؛ ففيه إضعاف لقوة الروح و حماسة القلب ، سواء فى ذلك المعتزلة و الأشعرية[1] و الماتريدية[2] فكلهم استخدموا الأدلة اليونانية فى العقائد الدينية ، و هى غير الطريقة التى نحاها القرآن الكريم فى الدعوة الى الدين . لقد كادوا بعملهم هذا يقطعون الصلة بين العقل و القلب . و ينمون الناحية العقلية على حساب القوة العاطفة . ان شئت فاقرأ – لاثبات قدرة الله – قوله تعالىٰ : وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ . ثم اقرأ فى كتب علم الكلام – الجدل بين الأشعرية و الماتريدية فى أن القدرة صفة ازلية تتعلق وفق الإرادة ، بمعنى صحة صدور الأثر و التمكن من الترك كما يقول الماتريدية ، أو هى صفة تؤثر فى المقدورات عند تعلقها بها كما يقول الأشاعرة ، فكم من الفرق بين المنهجين و الروحين . أهم غرض للقرآن الكريم أن يحيى الشعور ببيان علاقة الانسان القوية بالله و العالم ، و أن يعمل على ذلك بتغذية الحياة الروحية ؛ أما المتكلمون فأرادوا ان يصلوا الى ذلك من طريق المنطق ،

---

(١) أتباع الإمام أبى الحسن الأشعرى رحمه الله (٢) أتباع الإمام ابى المنصور الماتريدى رحمه الله .

و شتان بين الطريقين! فحياة المنطق لا تملأ القلب حماسة، و لا تبعث في النفس حرارة إيمان، إنما تفعل ذلك الحياة الروحية.

لقد كثرت المذاهب و النحل في ذلك العصر كثرة مدهشة، حتى يصفهم المأمون فيقول: و طائفة قد اتخذ كل رجل منهم مجلسا، اعتقد به رئاسة، لعله يدعو فئة الى ضرب من البدعة، ثم لعل كل رجل منهم يعادي من خالفه في الأمر الذي عقد به رئاسة بدعة و يشيط بدمه، و هو قد خالفه من أمر الدين بما هو أعظم من ذلك إلّا أن ذلك أمر لا رئاسة له فيه فسالمه عليه - الخ. و نستعرض اسماء الفرق و المذاهب في كتاب الملل و النحل للشهرستاني فندهش لكثرتها و اختلافاتها. و هذه كلها كانت تنظر الى القرآن الكريم بعين مذهبها و تفسره بما يلائمه فالمعتزلي يطبق القرآن على مذهبه في الاختيار و الصفات و التحسين و التقبيح العقليين، و يؤوّل ما لا يتفق و مذهبه، و كذلك يفعل الشيعي. و ذلك يختلف كل الاختلاف عن نظر المسلمين الأولين الى القرآن.

كان القرآن يدعو إلى الإيمان من طريقين، طريق النظر الى العالم نفسه و طريق التاريخ. فهو يرى أن نظر الإنسان الى العالم يدعم[1] إيمانه و يقوى يقينه، ففي الرياح و السحاب المسخر بين السماء و الأرض، و الإبل كيف خلقت، و السماء كيف رفعت، و الجبال كيف نصبت، و الأرض كيف سطحت؛ آيات على الله كما أن في الأحاديث التاريخية عن الأنبياء و أممهم ما يدعو إلى الايمان، و هذا النظر يناسب الناس على

(1) يعين و يقوى.

اختلافهم . ففى استطاعة العالم و الجاهل ان ينال الايمان من هذا الطريق، و الدعوة الى الحياة الروحية وحدها هى الدعوة التى يمكن ان توجه الى الناس كافة . فلما اولع[١] العلماء بالفلسفة اليونانية فى العصر العباسى حولوا اتجاه القرآن نفسه الى نوع من الثقافة العقلية و البراهين المنطقية و درسوا القرآن على النحو الذى يدرسون به الحساب و الهندسة و الهيئة فكان فى ذلك اضرار بالدين من ناحيته القلبية . و نتج عن ذلك تعقيد العقيدة الاسلامية السهلة السمحة ، حتى صار يمثلها تعاليم المتكلمين من المعتزلة و الأشعرية ، و أصبح اخيرا يمثلها "العقائد النسفية" و "متن السنوسية" و شعر بهذا النقص قوم من الصوفية المخلصين فدعوا الى الاسلام من منهجه الأول، و لكن سرعان ما تحول بعضهم ايضا الى الفلسفة يستمد منها ، كما سنبينه ان شاء الله .

و كان كلما تعمق المسلمون فى العلوم و الفلسفة نظروا الى القرآن من خلالها ، فاذا اتت آية الرعد و البرق شرحوها بكل ما وصل اليه علمهم فى الظواهر الجوية ، و إذا أتت آية فى النجوم و السماء طبّقوا ما علموا من علم الهيئة ، و إذا اتت اشارة فى آية الى جبر او اختيار عددوا مذاهب المتكلمين فيها ، و إذا اتت مسألة نحوية افاضوا فى الخلافات النحوية بين البصريين و الكوفيين . و على الجملة فقد كدّسوا[٢] كل ما عرفوا من علوم حول الآيات القرآنية ، و تضخم ذلك على توالى الأزمان ، كما ترى بعد فى تفسير الفخر الرازى ، ففيه كل شىء وصل اليه المسلمون إلا شيئا واحدا ، هو شرح روح القرآن .

---

(١) اى احبوا و اشتغلوا (٢) جمعوا و جعلوا بعضها على بعض .

و لكن ان كانت هذه نقطة ضعف فى الفلسفة و العلوم من ناحية الدين فقد كان لها فضل كبير من الناحية الدينية ايضا ؛ ذلك أن الناس واجهوا مشكلة كبرى فى العصر العباسى، رأوا مدنيات عظيمة لأمم مختلفة، ورثتها المملكة الإسلامية ، و رأوا عادات مختلفة لأمم متعددة فى جميع مناحى الحياة ،، و رأوا معاملات تجارية و نُظُما للأحوال الشخصية تأثرت بديانات الأمم المختلفة . و هكذا فى كل ناحية من النواحى الاجتماعية ، سواء كانت نواحى اقتصادية ام سياسية ام قانونية . و رأوا – من ناحية اخرى – أن الإسلام اتى بأصول يجب المحافظة عليها ، و أتت فيه نصوص كذلك على جزئيات يجب مراعاتها ، و لكن فى كل عصر تحدث من الأقضية و الأحداث ما لم يكن حدث من قبل ، لم يرد فيه نص . فكان امام العلماء ان ينظروا باحدى العينين الى قواعد الإسلام و تعاليمه ، و بالعين الأخرى الى المدنية العباسية ، و ما جد فيها من مظاهر و أحداث شتى و كان لا بد من أن يطبقوا قواعد الإسلام على تلك الأحداث – و لم يكن هذا بالأمر الهيّن – نعم عرضت هذه المشكلة فى تاريخ الإسلام من قبل العباسيين ، قد واجهها عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد أن فتحت الفتوح و مصرت الأمصار ، و دخلت امم مختلفة العقائد و النظم و اللغات تحت حكم الاسلام ، و بذل من الجهد هو و من حوله من العلماء ما لا يقدر ، و ضرب مثلا صالحا لمن يأتى بعده . و لذلك نص المشترعون[1] على العمل برأيه فى كثير من نظام الفتح و الجهاد و الضرائب[2] و نحو ذلك و عدوه مثلهم الذى يحتذى . و واجه

(١) اى المقننون (٢) جمع ضريبة و هى الجزية .

هذه المشكلة الأمويون، فحوروا فى نظم الدواوين و النقود و نحوها، فخطوا بذلك خطوة ثانية : و لكن المشكلة أمام العباسيين كانت أعقد لأن دهشة الفتح قد زالت، و الأمم التى دخلت فى الإسلام استقرت و نسلت جيلا جديدا، ورث من آبائه و ورث من المسلمين، و العباسيون - كما رأينا قبل - لم يشاؤا أن يعيشوا عيشة ساذجة كمن قبلهم من الأمويين، و تغلبت العناصر الأخرى كالفرس ذات الحضارة المركبة، فكان من ذلك كله أن أرادوا أن يضعوا نظما كاملة شاملة و أن يواجهوا هذه المشاكل و يحلوها حلا بقوانين و مبادئ، لا بأمر جزئى و لا برأى فرعى . فأعانتهم العلوم فى ذلك العصر على هذا كله، و لو لا العلوم ما استطاعوا . فرأينا ابا يوسف فى كتابه " الخراج " يضع النظام المالى لدولة الرشيد . فيقرر نظام الأرض و مسحها[1] و ما يؤخذ منها . و كيف يكون ذلك و يضع نظام الضرائب غير الأرض مما يخرج البحر و نحوه، و يضع نظام الرى من الآبار و الأنهار. و نجد الأئمة الأربعة و غير الأربعة يجتهدون فى وضع القوانين من مالية و جنائية و ما يسمى بالأحوال الشخصية، و غير الفقهاء يضعون نظما ادارية كنظام الشرطة و الجند و الجيش . و قد تتعارض نظم الفقهاء مع نظم الاداريين فينظر فى التوفيق بينهما، و يوضع نظام البريد و المصانع و التجارة و نحوها . كل هذه حركات كانت فى الدولة العباسية نشيطة قوية و كانت خاضعة فى مبادئها للقواعد الأساسية للاسلام . و بذلك نستطيع أن نقول : انه فى هذا العصر قُنِّن الاسلام و أصبح هو النظام لحكومة

(١) اى مساحتها .

ممدّنة – بالمعنى العصري – نعم كان هناك خروج عن الاسلام فى بعض التصرفات، و كان هناك نقص فى تنفيذ الأحكام القضائية، و كان هناك نقص فى اعطاء الأحكام الفقهية سلطة القانون، و لكن هذا لا ينقض ما ذكرنا من أن الروح العامة – فى التشريع و وضع النظم – كانت تتقيد بأصول الاسلام و أنه لو لا اشتغال المسلمين بالعلم فى فروعه المختلفة ما كان يمكن ذلك .

و هذا الاسلام بتعاليمه و نظم حكمه اظلّ كل الأمم الاسلامية على اختلاف انواعها من آريين و ساميين و حاميين يخضعون لسلطانه، و يجرون فى نظامهم و قضائهم و معاملاتهم على ما قنن من أحكامه . و من أجل هذا أخذت الفروق بين الأمم تتقلّص[1] و يحل محلها وحدة اسلامية . و من أجل ذلك ايضا كانت هذه الوحدة متجلية فى العصر العباسى اكثر مما كان فى العهد الأموى، و دخل الاسلام فى الحياة العامة و فى السياسة و فى الادارة و تأثر التشريع بعادات الناس، و تأثرت عادات الناس بالتشريع .

كان الاسلام دينا فى مكة، و كان دينا و حكما فى المدينة، و كان دينا و حكما و مدنية فى بغداد و سائر المملكة الإسلامية فى العصر العباسى . و لعل هذا من الأسباب التى دعت الى دخول كثيرين فى الاسلام فى ذلك العصر، فقد كان الناس يتنفسون اسلاما اينما حلوا : فى البيت، فى الشارع، فى المحكمة، فى المعاملات التجارية، فى الضرائب، فى التعليم، فى كل مرافق الحياة –[2] .

---

(١) تنضم و تنزوى (٢) ضحى الإسلام ج ١ .

الصدّيق للأستاذ عباس محمود العقاد[1]

اقبل الصديق رضى الله عنه على الاسلام و هو عالم بالذى هو مقبل عليه، لم يقل له احد و لا قال هو لنفسه إن الأمر أهون مما توقع، و إن البلاء بعقيدته التى تحول اليها أخف مما وجد، فلم يجد نصبا و كان يرجو الراحة، و لم يجد غرما و كان يرجو المنفعة، و لم يجد عداءا من قومه و كان يرجو المودة، و لم يجد خطرا و كان يرجو السلامة، و إنما دخل فى شيء يتوقع ما هو ملاقيه فيه، و يراه دون حقه من المصابرة و الحفاظ و الاحتمال لأنه الدين، لأنه الحياة الفانية و الحياة الباقية، لأنه الحق و دونه الباطل، و الهدى و دونه الضلال .

فما اقبل انسان قط اصدق من هذا الاقبال، و ما تأهب[2] انسان قط لبلاء فى سبيل ضميره و ربه أعظم من هذه الأهبة[3]، و ما نفس الصدق عند انسان قط اغلى من هذه النفاسة . فهى سلامة النفس و سلامة الآباء و الأبناء

---

(١) ولد الأستاذ عباس محمود العقاد بأسوان سنة ١٨٨٩ م، و درس فى مدرسة أسوان الابتدائية ثم الثانوية و كان نهما بالقراءة فتثقف بنفسه و اشتغل بالوظائف الحكومية ثم اشتغل بالصحافة ثم بالتعليم، وانتخب عضوا لمجلس النوّاب ثم عين عضوا لمجلس الشيوخ، فعضوا لمجمع اللغة العربية، محبّ للعزلة، كثير القراءة، كثير الكتابة، يكتب فى كل موضوع و فى كل غرض، له ما يزيد على ستين مؤلفا فى الأدب والنقد والتاريخ والفلسفة، وقد استن طريقة جديدة فى كتابة التاريخ و السير بعبقرياته المعروفة. يمتاز العقاد بالعمق وسعة الدراسة و الثقافة والتحليل العلمى، يكاد يكون صاحب مدرسة فى الأدب الحديث (٢) تهيأ واستعد (٣) اى العُدّة.

 و سلامة

(1)

كلما عم الجور، و يأمر بالمعروف كلما فشا المنكر، و يهدى الى سواء السبيل كلما استحكم الضلال .

و قبل البعثة المحمدية كان اناس ينتظرون الهدى من نسل داود او ينتظرونه من نسل اسماعيل بن ابراهيم – عليهم الصلاة و السلام !

و سمع ابو بكر ما سمع من هذا فى رحلته الى اليمن و رحلته الى الشام و فى حديثه مع ورقة بن نوفل، و حديثه مع المنكرين لظلام الجاهلية و المستشرفين[1] الى كل نور جديد .

و هذا محمد بن عبد الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يدعوه دعوة ابراهيم– دعوة الأب الأكبر الذى يشمل العرب جميعا، و من فوقها دعوة الله التى تعم جميع الناس .

فمن أولى منه بالدعوة ! و من أولى منه بالتصديق !

إنه استشار خلقه القويم فهداه، و إن مشورة العقل وحدها لتهديه هذه الهداية حيثما وازن و قابل، فأحسن الموازنة و المقابلة بين جميع ما ينتظم فيها من شؤون ذلك الزمان .

كان ابو بكر فى اهتدائه الى الاسلام هو أبو بكر فى نشأته و سليقته و جملة أحواله و أحوال قومه و عهده .

و كان ابو بكر فى إسلامه هو أبو بكر فيما وصف به و فيما جد عليه من إيمان المصدق بدينه و حماسة المعجب ببطله .

كان اسلامه اسلام الرجل الكريم السمح الودود، يستمسك بالصدق

---

(١) المتطلعين .

و التصديق و يخلص في الاعجاب بالبطل الذى هداه اخلاصا لا شية[1] فيه فهو يلين فى كل حالة و يشتد فى حالة واحدة هو فيها اشد الأشداء مرجعها الى كل ما اتصل عنده بقوة التصديق و قوة الاعجاب .

قال بعد مبايعته بالخلافة : "إنما أنا متبع و لست بمبتدع" فجمع اسلامه أجمع صفة و أحسنها فى هذه الكلمات .

و ربما عرض له من الأمر ما ليس يتضح فيه طريق الاتباع ، فيخرج الى الناس يسألهم ثم يقول: "الحمد لله الذى جعل فينا من يحفظ علينا سنة نبينا".

فلا يبتدع إلا بعد استقصائه[2] كل مرجع من مراجع الاتباع .

و فى هذا هو شديد غاية الشدة ، بعيد من اللين و الهوادة[3] غاية البعد ، و هو الرجل الذى اتسم[4] فى حياته كلها باللين و الهوادة .

فتصديق المؤمن و إعجاب المعجب ببطله العزيز عليه ، هما تفسير كل شدة يشتدها الصديق الحليم الودود .

هو شديد فى تسيير جيش اسامة رضى الله عنه، لأن النبى عليه الصلاة و السلام ولاه و أمر بتسييره و ما يكون له ان ينزع رجلا استعمله رسول الله "و لو تخطفته الذئاب و لم يبق فى القرى احد غيره" .

هو شديد فى حرب الردة ، لأنه لا يترك عقالا[5] كان رسول الله يأخذه من المرتدين .

و إذا رأيناه يتردد بين الهوادة و الشدة فى محاسبة بعض الناس فالشدة

---

(١) كل لون يخالف معظم لون الشيء (٢) المبالغة فى الطلب (٣) اللين و الرفق .
(٤) اى جعل لنفسه سمة يعرف بها (٥) حبل يشد به البعير فى وسط ذراعه .

التى مرجعها التزام جادة الرسول و الاقتداء بقدوته فى كل شىء هى اقرب التفسيرين الى فهم عمله ، و هى اغلب فى طبعه من اللين و الهوادة ، على اشتهاره بهما فى كل ما عدا ذاك .

و يتبين لنا مناط الشدة و اللين عنده فى جناية واحدة استصغر فيها العقوبة على امرأة و استكبر العقوبة نفسها على امرأة أخرى ، و ذلك إذ كتب اليه المهاجر بن ابى امية المخزومى يقول له ان مغنيتين تغنت احداهما بثلب رسول الله و تغنت الأخرى بثلب المسلمين ، فقطع يديهما و نزع ثناياهما لتكف عن الغناء ، فخطأه ابو بكر لأن الأولى كانت احق بالقتل ، و أن الثانية كانت احق بالصفح و أوصاه ان يقبل الدعة و أن يحذر المثلة "فانها مأثم و منفرة إلا فى قصاص" .

ففى تعظيم النبى (صلى الله عليه و سلم) كل شدة قليلة ، و فى امر غيره كل صفح جائز بل مستحب محمود ، و ليست هى المحبة التى يعوزها التفكير قد فرقت هذه التفرقة بين العقابين ، لأن هجو النبى قدح فى لباب الدين و أس النظام ، و هجو المسلمين وزر قد يأتيه المسلم فى خلاف بينه و بين قومه ، و لكنها على هذا حادثة قد عرضت لنا طبع ابى بكر فى حالتيه لين و هوادة ، و إعظام لا لين فيه و لا هوادة ، و إنما هى الشدة كأشد ما يكون .

و ربما تهيب[1] الأمر فيه نفع لا شك فيه اذا لم يسبقه النبى عليه الصلاة و السلام الى صنعه او صنع مثله ، لفرط اتقائه ان يصنع ما ترك او يترك ما صنع ، كما تهيب جمع القرآن فى المصحف حين اشار به عمر رضى الله عنه ،

---

(١) خاف .

فقال : " كيف افعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه و سلم ؟ " ثم استصوب جمعه لما فيه خير .

فسماحة ابى بكر رضى الله عنه كانت طبيعة فيه لأنه طبع على الرفق و الأناة و الأخذ بالحيطة و استبقاء المودة .

و شدة ابى بكر كانت طبيعة فيه ، لأنه طبع على تصديق من هو أهل لتصديقه و الاعجاب بمن هو أهل لاعجابه ، و لن ترى شدة فى انسان كشدة الرجل السمح فى تنزيه صفيه و حبيبه و موضع اعجابه ، و لا حرصا فى انسان كحرصه على القدوة بذلك الصفى الحبيب المعجب به ، و اجتناب التخلف عنه و الحيد عن طريقه .

و فيما عدا هذه الشدة لم يكن ابو بكر إلّا حلما غالبا و رحمة غالبة ، و لم تنفرج أمامه طريقان احداهما الى العفو و الأخرى الى البطش إلّا اخذ بالأولى و أعرض عن الثانية .

شاوره النبى عليه الصلاة و السلام فى أسرى بدر فقال : " يا نبى الله ! هؤلاء بنو العم و العشيرة و الاخوان ! فانى أرى أن تأخذ منهم الفدية ، فيكون ما أخذنا منهم قوة ، و عسى الله أن يهديهم فيكونوا لنا عضدا [1] " .

و شاوره حين اجتمعت قريش لصده و صد المسلمين عن البيت فنادى بالناس : " أشيروا ايها الناس علىّ ! أترون أن اميل الى عيالهم و ذرارى هؤلاء الذين يريدون ان يصدونا عن البيت ، فان فاتونا كان الله قد قطع عينا من المشركين ، و إلا تركناهم محروبين " .

فقال ابو بكر : " يا رسول الله ! خرجت عامدا لهذا البيت ، لا تريد

---

(١) أى اعوانا .

قتال احد و لا حربا ، فتوجه له فمن صدنا قاتلناه " ... يقاتل من صده عن البيت و لا يقاتل من لم يصده .

و شيع[1] جيش اسامة فلم ينس أن يوصيه بالضعفاء و هو ذاهب الى القتال :

" لا تخونوا و لا تغلوا و لا تغدروا و لا تمثلوا و لا تقتلوا
طفلا صغيرا ، و لا شيخا كبيرا ، و لا امرأة ، و لا تعقروا
نخلا و لا تحرقوه ، و لا تقطعوا شجرة مثمرة ، و لا تذبحوا
شاة و لا بقرة و لا بعيرا إلا لمأكلة ، و سوف تمرون بأقوام
قد فرغوا انفسهم فى الصوامع فدعوهم و ما فرغوا انفسهم له ،
و سوف تقدمون على قوم يأتيكم بآنية فيها ألوان الطعام فاذا
أكلتم منها شيئا بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها ، و تلقون
اقواما قد فحصوا أوساط رؤوسهم و تركوا حولها مثل
العصائب فاخفقوهم[2] بالسيف خفقا . اندفعوا[3] باسم الله ! "

و ليس اكثر من الشواهد التى تشهدها على قوة الدين فى نفوس من آمن به إلا أننا لا نعلم بينها شاهدا أصدق فى الدلالة على تلك القوة من ان يدين المرء نفسه بالدين امام اعدائه كما يدينها به امام اخوانه فى اعتقاده ، و من شواهد ذلك فى إسلام الصديق أنه كره المثلة بأعدى الأعداء فى ميدان القتال ، فلما بعث اليه عمرو بن العاص برأس بنان بطريق الشام انكر فعله اشد انكار ، و لم يخفف من انكاره قول عقبة بن عامر له : انهم يصنعون بنا بل قال : أيستنون بفارس و الروم ؟ لا يحمل الىّ رأس . إنما يكفى الكتاب و الخبر .

فهو مسلم مع من يحب و مع من يكره و لو فى قتال . و هذا بلاغ الدين القويم فى نفس انسان – ٤ .

---

(١) خرج ليودع (٢) اضربوهم (٣) امضوا (٤) عبقرية الصديق .

ذكرى المولد

للأستاذ أحمد حسن الزيات[1]

ذكرى مولد الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) هي ذكرى قيامة الروح و ولادة الحرية و نشور الخلق ، فكأن مولده كان البعث الأول الذى

---

(١) ولد فى ٢ من ابريل عام ١٨٨٥ م فى احدى ضواحى القاهرة ، و انتقل الى القاهرة و التحق بالجامع الأزهر و تلقى العلوم الأزهرية على أساتذته من أساطين العلم منهم السيد على المرصفى و الشيخ محمد عبده ، قرأ على الأول ديوان الحماسة و الكامل للمبرد و الأمالى لأبى على القالى و المفصل للزمخشرى ، و على الثانى كتابى دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة للزمخشرى . ثم التحق بالجامعة المصرية القديمة و تلقى تاريخ الأدب العربى و الفرنسى على المستشرقين الايطاليين « گويدى » و « فريننو » و درس الحقوق الفرنسية فى مدرسة الحقوق الفرنسية بالقاهرة و أتم تعليمه العالى للحقوق فى جامعة باريس ، و عاد و تقلب فى وظائف تدريس الأدب العربى فى القاهرة و بغداد ، حتى استقر بالقاهرة و أصدر سنة ١٩٣٣ مجلة « الرسالة » التى بقيت تخدم الأدب العربى عشرين سنة كانت فيها ملتقى الكتاب النابغين و مدرسة الأدباء الناشئين ، و تولّى رئاسة تحرير مجلة الأزهر و هو عضوٌ فى المجمع اللغوى العربى بالقاهرة و المجمع العلمى بدمشق .

الأستاذ الزيّات من أساطين الأدب العربى و النثر الفنّى فى عصره و مصره ، يجمع بين جزالة القديم و خفة روح الجديد و قد اثر فى كتابته عكوفه على مصادر الأدب القديم و دواوين النثر فانقادت له القوافى و فصاحة اللفظ مع التفنّن فى العبارة و التنوع فى المعانى . له كتاب « تاريخ الأدب العربى » و « وحى الرسالة » و غيرهما .

طهر النفس و عمر الدنيا و قرر الحق للانسان، كما أن البعث سيخلص الروح و يبتدئ الآخرة و يعلن الملك لله .

كان العالم يومئذ يضطرب فى رق المادة و عبودية الشهوة و سلطان القوة، فلم يكن للمثل الأعلى وجود فى ذهنه، و لا للغرض النبيل اثر فى سعيه، و لا للشعور الانسانى مجرى فى حسه، و لا للسمو الالهى معنى نفسه، إنما كان حيوانيا شهوته الغلب، ماديا غايته اللذة، أنانيا شريعته الهوى؛ ثم أسرف فى البهيمية حتى جعل كل انثى مباحة لكل ذكر، و فى المادية حتى اتخذ إلهه من خشب او حجر، و فى الأنانية حتى قتل أولاده خشية الاملاق[1] و الضرر . فلما أتى النبى العربى فتح فى غار حراء بابا الى السماء، تنزلت منه الملائكة و الروح على هذا الهيكل المنحل و الجسد المعتل، فنفخت فيه سر الحياة و معنى الخلود و حقيقة الله . و حينئذ شعر سليل الأرض ان له اسبابا الى السماوات رثت[2] على طول غفلته، و أن له حياة خيرا من هذه الحياة استسر علمها فى جهالته، فتشوف[3] الى الأفق البعيد، و استشرف الى السمت العالى، و أرسل نظره وراء النظر النبوى من فوق الجبل فى صمت حراء المفكر، و فى سكون الوادى الملهم، و فى غيابة الفضاء الرهيب . يفكر فى الملكوت الدائم، و يسبح للجلال القائم و يفنى فى الوجود المطلق .

كانت العقيدة قبل محمد (صلى الله عليه و آله وسلم) أن تموت الروح او يموت الجسم، و أن يحكم الله او يحكم الانسان، و أن يظهر الدين او تظهر الدنيا .

(١) الإفلاس (٢) بليت (٣) تطلع .

أما تقرير الصلة بين المعنى و الذات ، و بين المصباح و المشكاة . و بين الحياة الأولى و الحياة الأخرى ، و بين الارادة السفلى و الارادة العليا ، فذلك هو القصد الالـهى من رسالة محمد ، و التنفيذ المحمدى لارادة الله - عليه صلوات الله و سلامه .

و كان العالم قبل يوم محمد يرسف[1] فى عبودية عقلية تقتل التفكير ، و عبودية جسمية تعقل التصرف ، فلم يكن للأسرة نظام ، و لا للقبيلة قانون ، و لا للأمة دستور ، و لا للعقيدة شريعة ، انما هو طغيان عاسف[2] يتحكم فى الفرد و يسيطر على الجماعة ؛ فالأب يملك على بنيه الموت و الحياة بحكم الطبيعة ، و الشيخ يفرض على عشيرته الأمر و النهى بمقتضى العرف ، و الملك يخضع نفوس الشعب باسم الدين ، و الكاهن ينسخ عقول الناس بقوة الجهل ، و الناس اجمعون عدا هؤلاء الأربعة اتباع و أرزاع[3] و همل .

فلما بُعث الرسول الكريم رحمة للعالمين بعث الحرية من قبرها ، و أطلق العقول من أسرها ، و جعل التنافس فى الخير ، و التعاون على البر ، و التفاضل بالتقوى ؛ ثم وصل بين القلوب بالمواخاة ، و عدل بين الحقوق بالمساواة ، و دخل بين النفوس بالمحبة ، حتى شعر الضعيف أن جند الله قوته ، و الفقير أن بيت المال ثروته ، و الوحيد أن المؤمنين جميعا اخوته ، ثم محا الفروق بين اجناس الانسان ، و أزال الحدود بين مختلف الأوطان ، فأصبحت الأرض كلها وطنا مشاعا[4] ، و العالم كله أسرة متحدة ، لا يهيمن على علائقها إلا الحب ، و لا يقوم على مرافقها إلا الانصاف ، و ليس فيها بين المرء و خليفته حجاب ، و لا بين العبد و ربه واسطة .

---

(١) يمشى مشية المقيد (٢) شديد (٣) الجماعات و لا واحد لها (٤) مشتركا .

يا رعى الله ذكراك المقدسة يا غار (ثور)! لقد كنت مبعث الحرية كما كان غار (حراء) مبعث الروح فأنت فى جبل الخلاص و هو فى جبل التجلى .

و كان العالم قبل مولد محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) يعانى تفكك الخلق و تحلل الرجولة و تغلب الأثرة و تحكم السفاهة ، فسطوة اليد تسرف على العدل ، و عصبية الدم تبغى على الحق ، و سلطان المال يجنى على الانسانية ، و سورة الترف[1] تعتدى على المروءة ، فالتجارة بخس و تطفيف[2] ، و العهود نقض و تسويف ، و الناس يعيشون عيش الوحش: تنافر و تدابر و احتيال و اغتيال[3] و شعوة!! فلما ظهر البطل العظيم و الانسان الكامل كانت شمائله و أفعاله رسالة اخرى فى الخلق: كان تطبيقا لقوانين الدين بالمثل ، و تعليما لآداب النفس بالعمل ، و تنظيما لغرائز الحياة بالقدوة؛ ثم فعلت شخصيته و دعوته فى نفوس رويت بالدماء و نغلت[4] بالعداء و عاشت على الفرقة فألفهم على المودة و جمعهم على الوحدة ، ثم جعل لهم من كتاب الله نورا و من سنته دستورا ، و رمى بهم فساد الدنيا فأصلحوا الأرض و مدنوا العالم و هذبوا الأرض .

ذلك ما تلقيه ذكرى مولد الرسول فى رُوع[5] المؤمن المعقول الذاكر! فليت شعرى ما ذا يجد اليوم فى نفسه و فى قومه من روح محمد و حرية محمد و خلق محمد! ... ألسنا نعيش اليوم صورًا كقطع الشطرنج ، و أتباعا

---

(١) التنعم (٢) اى نقص الكيل قليلا (٣) اهلاك من حيث لا يدرى (٤) اى فسدت.
(٥) القلب.

كعبيد الأرض ، و همجًا[1] كهمج الجاهلية ؟ و هل كان ذلك يكون لو أننا اتخذنا من أحكام الله منهاجا ، و من كلام رسوله علاجا ، و من حياة السابقين الأولين قدوة ؟

ان ذكرى مولد الرسول ذكرى انطلاق الانسانية من أسر الأوهام و طغيان الحكام و سلطان الجهالة ، فما أجدرَ القلوب الواعية الحرة على اختلاف منازعها و مشارعها أن تخشع اجلالا لذكرى رسول التوحيد و الوحدة ، و نبي الحرية و الديمقراطية ، و داعية السلام و الوئام[2] و المحبة-٣ .

العقيدة والحياة للأستاذ سيد قطب[4]

عمر الفرد الفاني محدود ، و أيامه على الأرض معدودة ، و هو بالقياس الى هذا الكون الهائل الذى يعيش فيه ذرة تائهة لا مستقر لها و لا قيمة ،

---

(١) الرعاع من الناس الحمقى (٢) الموافقة (٣) وحى الرسالة (٤) هو سيد قطب بن الحاج قطب ابراهيم ، هاجر جده السادس الفقير عبيد الله من الهند الى مصر و تديرها . ولد فى سنة ١٩٠٦ م فى مديرية أسيوط و حفظ القرآن و انتقل الى القاهرة و التحق بدار العلوم فى سنة ١٩٢٩ و نال منها شهادة فى التعليم و اشتغل فى وزارة المعارف التى ارسلته سنة ٤٩ الى امريكا لدراسة نظم التعليم هناك و رجع منها سنة ٥١ و قد رأى اخفاق الحضارة الغربية و ميلها الى الانهيار و اعتزل الوظيفة و انقطع الى التأليف و الكتابة . الأستاذ قطب من اركان الأدب الاسلامى الحديث و الدعوة الاسلامية العلمية ، كان من اساتذة النقد الأدبى و من المتجددين من مدرسة الأستاذ العقاد حتى اثرت فيه دراسة القرآن اثناء تأليفه " التصوير الفنى فى القرآن " و " مشاهد القيامة فى القرآن " و أكرمه الله بالايمان الجديد القوى بدينه و صلاحه للخلود و القيادة و السيادة فدعا الى ذلك على بصيرة و كتب و ألف و اتصل بدعوة الاخوان المسلمين حتى اعتقل فى سنة ١٩٥٤ على اثر حل=

و عمره بالقياس الى الزمن الهائل من الأزل الى الأبد ومضة[1] برق او غمضة عين . و لكن هذا الفرد الفانى، هذه الذرة التائهة . هذا اللقى الضائع يملك فى لحظة أن يتصل بقوة الأزل و الأبد و أن يمتد طولا و عرضا فى ذلك الكون الهائل ان يرتبط به فى اعماقه و أمشاجه بوشائج من القربى لا تنفصم[2] أن يشعر أنه من تلك القوى الهائلة و إليها ، أنه يملك ان يصنع اشياء كثيرة و أن ينشئ احداثا ضخمة و أن يؤثر فى كل شيء و يتأثر ، يملك ان يحس الوجود فى الماضى و الاستقرار فى الحاضر و الاستمداد فى الآتى ، يملك أن يستمد قوته من تلك القوة الكبرى التى لا تنضب و لا تنحسر و لا تضعف و أنه لقادر اذا على مواجهة الحياة و الأحداث و الأشياء بمثل قوتها و أقوى ، فما هو باللقى الضائع و لا بالفرد العاجز و هو يستند الى قوة الأزل و الأبد و إلى ما بينه و بينها من وشائج تلك وظيفة العقيدة الدينية و ذلك اثرها فى النفس و الحياة و ذلك سر قوة العقيدة فى النفس و سر قوة النفس بالعقيدة ، سر تلك الخوارق التى صنعتها العقيدة فى الأرض و ما تزال فى كل يوم تصنعها الخوارق التى تغير وجه الحياة من يوم الى يوم وتدفع بالفرد و تدفع بالجماعة الى التضحية بالعمر الفانى المحدود فى سبيل الحياة الكبرى التى لا تفنى و تقف بالفرد القليل الضئيل[3] امام قوى السلطان و قوى المال و قوى الحديد و النار . فاذا هى كلها تنهزم امام العقيدة الدافعة

=الجماعة . له العدالة الاجتماعية فى الاسلام ، ومعركة الاسلام والراسمالية ، والاسلام و السلام العالمى ، و فى ظلال القرآن .

(١) لمعة (٢) لا تنكسر (٣) الدقيق الحقير .

فى روح فرد مؤمن و ما هو الفرد الفانى المحدود الذى هزم تلك القوى جميعا، و لكنها القوة الكبرى الهائلة التى استمدت منها تلك الروح . و الينبوع[1] المتفجر الذى لا ينضب و لا ينحصر و لا يضعف ، و ما تملك عقيدة أخرى غير العقيدة الدينية ان تصل الكائن الفانى بقوة الأزل و الأبد و أن تمنح الفرد الضعيف ذلك العون و السند ، و أن تصغر فى عينيه قوى الجاه و المال و قوى المركز و السلطان، و قوى الحديد و النار، و أن تصبره على الحرمان و الأذى ، و تقدره على الصبر و الكفاح[2] و تدفعه الى الموت الذى يخلق الحياة و الفناء الذى يمنح الخلود و التضحية التى تورث النصر — و من ثم قيمتها الكبرى فى حياة الأفراد و حياة الجماعات سواء و من ثم ذلك الاصرار الذى نصره على مواجهة مشكلاتنا الاجتماعية و مشكلاتنا القومية و مشكلاتنا العالمية بحلول تنبع من عقيدتنا الدينية ان هذه العقيدة قوة هائلة فى أيدينا و قوة عميقة فى كياننا قوة لا يتخلى عنها صاحبها فى زحمة الصراع إلا ان يكون به حمق أو سفه ، و نحن نواجه صراعا ضخما فى الداخل و فى الخارج ، نواجه قوى هائلة متكتلة أكبر من طاقتنا المجردة فاذا كانت عقيدتنا تسعفنا فى هذا الصراع الضخم بقوى حقيقة واقعة و بحلول عملية واقعة كذلك ؛ فأى ضمير يملك ان يفرط فى تلك القوى و أن يتخلى عن هذه الحلول لمجرد أنها نابعة من تلك العقيدة ؟

ان بعض النظم الأخرى قد تقدم لنا بعض الحلول لبعض المشكلات فى بعض الأحيان و لكن قيمة العقيدة التى ندعو إليها ليست بمجرد تقديم

---

(١) عين الماء (٢) مواجهة العدو .

الحلول الوقتية للشكلات الوقتية ان قيمتها ان تقدم هذه الحلول و تقدم
معها القوة الضامنة لتحقيقها و حمايتها قوة الدافع الفطرى العميق للعقيدة
الدينية ، ذلك الدافع الذى لا تملأ فراغه فى النفس الانسانية فكرة فلسفية
و لا مذهب اجتماعى و لا نظرية اقتصادية . ذلك أنه اعمق فى النفس البشرية
من مستوى الفكر و المذاهب و النظريات ، انه جوعة فطرية لا يسدها
إلا الايمان جوعة كجوعة الجسد الى الطعام و الشراب و سائر الضرورات ،
و كم يخطئ الذين يخدعهم خمود هذا الدافع فترة أو توارية ، فيحسبونه
قد مات ، و يحسبون أنهم يستطيعون ملء فراغه فى نفوس الأفراد
و الجماعات ، بمذاهب فلسفية أو نظريات اقتصادية أو افكار اجتماعية و سرعان
ما يتبين لهم خطؤهم حينما تنفض العقيدة الخامدة من حيث لا يحسبون ،
فتأتى بالخوارق فى حياة الفرد و فى حياة الجماعة هذه العقيدة التى كانت
منذ لحظة خامدة هامدة لا توحى بأمل و لا ينبعث منها رجاء و إن هى
إلا فترة كموت يحسبها الجاهلون موتا ، و يدرك العارفون أنها طور من
اطوار النفس البشرية المليئة بالمسارب و المداخل و بالمنعرجات و الدروب .

تلك الخوارق التى تأتى بها العقيدة الدينية فى حياة الأفراد فى حياة
الجماعات لا تقوم على خرافة غامضة و لا تعتمد على التهاويل و الرؤى ،
إنما تقوم على اسباب مدركة و على قواعد ثابتة ، ان العقيدة الدينية فكرة
كلية تربط الانسان بقوى الكون الظاهرة و الخافية ، و تثبت روحه بالثقة
و الطمأنينة ، و تمنحه القدرة على مواجهة القوى الزائلة و الأوضاع الباطلة
بقوة اليقين فى النصر و قوة الثقة فى الله ، و هى تفسر للفرد علاقاته بما حوله

من

من الناس و الأحداث و الأشياء و توضح له غايته و اتجاهه و طريقه و تجمع طاقاته و قواه كلها و تدفعها فى اتجاه . و من هنا كذلك قوتها قوة تجميع القوى و الطاقات حول محور واحد و توجيهها فى اتجاه واحد تمضى اليه مستنيرة الهدف فى قوة و فى ثقة و فى يقين ، و الشخصية الانسانية السوية وحدة متماسكة ، فهى فى حاجة الى عقيدة موحدة تصدر عنها فى كل اتجاه و تستلهمها فى الشعور و السلوك و تستهديها فى مواجهة الكون و الحياة و ترجع اليها فى كل صغيرة و كبيرة . و فضل هذه العقيدة فى حياة كل انسان ان تكون نقطة ارتكاز تتجمع اليها خيوط حياته و نشاطه ، فلا تتمزق شخصيته و تتبعثر و لا يدركها القلق و الحيرة و الاضطراب و كلما قويت هذه النقطة و اشتدت صلاتها بالخيوط المنبثة هنا و هنالك فى حياة الفرد و نشاطه شخصيته أقوى لأنها اكثر تجمعا و كانت خطواته أهدى لأنها أوحد طريقا و العقيدة التى تتسع لكل ألوان النشاط الانسانى هى عقيدة أفضل و أكمل من العقيدة التى تنظم بعض ألوان النشاط و تقصر عن بعضها ، و كلما ثاب الفرد فى نشاطه كله الى عقيدة واحدة كان ذلك أفضل له و أيسر من أن يرجع فى ألوان نشاطه الى عقائد متفرقة . ان وحدة العقيدة حينئذ تحقق وحدة الشخصية دون ان تجور على ألوان نشاطه المتعددة و دون ان تضيق مجال النشاط او تحده و دون ان تمزقها طرائق قددا و توقع بينها الاضطراب أبدا و العقيدة الروحية التى لا رأى لها فى السلوك الاجتماعى و العلاقات الاقتصادية و النظم العالمية كالنظرة الاجتماعية التى لا رأى لها فى الاعتقاد الروحى و التنظيم الدولى كالفكرة الفنية التى

لا علاقة لها بالسلوك أو الاعتقاد أو النظام كلها محاولات ناقصة لا تملك
ان تنظم للانسانية حياتها كاملة و لا ان تحقق للشخصية الانسانية التماسك
و الاتساق ، إن الفرد كالجماعة فى حاجة ملحة الى عقيدة تتسع لكل ألوان
النشاط الحية و تهيمن على اتجاهاتها جميعا لتدفع بها كلها فى طريق الانشاء
و البناء و النماء و الفترات التى يهتدى فيها الفرد او تهتدى فيها الجماعة الى
مثل هذه العقيدة و تستجيب لها استجابة كاملة و تحققها فى واقع الحياة ...
هى الفترات التى تحقق فيه البشرية ما يبدو كأنه معجزات و ما يصعب
تفسيره إلا على ضوء الوحدة التى تجمع الطاقة و تصونها عن التبدد و التمزق
و تدفع بها كلها فى اتجاه واحد كالتيار الجارف و كالسيل الجبار . و العقيدة
الاسلامية هى المثال الواحد الذى عرفته الانسانية فى تاريخها الطويل فى
هذا المجال أنها العقيدة التى تتسع فتشمل كل نشاط الانسان فى كل حقول
الحياة فلا تقصر مهمتها على حقل دون حقل و لا على اتجاه دون اتجاه
انها لا تدع ما لقيصر لقيصر و ما لله لله فما لقيصر ، و قيصر ذاته فى العقيدة
الاسلامية كله لله و ما لقيصر حق ليس للفرد من رعاياه و أنها لا تتولى
روح الفرد و تهمل عقله و جسده او تتولى شعائره و تهمل شرائعه ، او تتولى
ضميره و تهمل سلوكه و أنها لا تتولاه فردا او تهمله جماعة و لا تتولاه فى
حياته الشخصية و تهمل نظام حكمه أو علاقات دولته .

انهـا الفكرة الكاملة الشاملة التى تمتد خيوطها فى الحياة الانسانية
امتداد الشرائين فى الكائن الحى و امتداد الأعصاب .

و نحن فى مصر – و فى العالم الاسلامى كله – نواجه ألوانا شتى

من المشكلات و العوائق نواجهها فى الداخل فى صورة مشكلات اجتماعية و اقتصادية و أخلاقية، و نواجهها فى الخارج فى صورة مشكلات قومية و دولية، و لكننا نواجهها و نحن لا نجد أنفسنا و لا نعرف رصيدنا من الطاقة و لا ندرك لها هدفا و لا طريقا نواجهها أحوج ما نكون الى عقيدة واحدة تجمع قوانا و إلى راية واحدة نقف فى ظلها صفا و إلى فكرة واحدة نواجه بها الحياة و نواجه بها المشكلات و نواجه بها تلك القوى التى تناصبنا العداء فى الداخل و فى الخارج سواء. و لقد كنا نتجنى على عقيدتنا الضخمة و نظن بها عن جهالة او عن غرض أنها لاتسعفنا بالحلول العلمية المحدودة لمواجهة الحياة العصرية و مشكلاتها و بخاصة فى الحقل الاجتماعى و الحقل الدولى، فأما الحقل الاجتماعى فقد صدرت فيه عدة مؤلفات تكشف عن الحلول العلمية التى يملك الاسلام أن يواجه بها الحياة و قد تداوبت معظم الاعتراضات التى كان يبديها طلاب العدالة الاجتماعية و رأوا أن الاسلام يملك أن يحقق عدالة أشمل و أكمل من كل ما تملك تحقيقه جميع المذاهب الاجتماعية الأخرى، و أما الحقل الدولى فربما كان العمل فيه قليلا و لم تشرح هذه الناحية بعد شرحا كافيا و أمامنا اليوم مشكلة السلام العالمى التى تواجهها البشرية جميعا و نواجهها نحن ضمنا فهل للاسلام فيها رأى؟ و لها عنده حل؟

هذا الكتاب كله هو الاجابة التفصيلية على هذا السؤال–١ .

(١) الاسلام و السلام العالمى .

عالم للأستاذ على الطنطاوى[1]

حدثنى بعض مشايخى عمن رأى بعينه و سمع بأذنه . قال:

وقعت الصيحة فى "حىّ الميدان" اجل احياء دمشق و أكبرها، صيحة يوم من أيام سنة ١٨٣١ بأن إبراهيم باشا قادم لزيارة عالم الشام الشيخ سعيد[2] الحلبى فى مسجده و إبراهيم باشا من قد علمت فى بطشه و جبروته . و من يده الى السيف أسرع من لسانه الى القول و عينه الى النظر ... و من كان جبار سورية و فاتحها و سيدها، فطار الفزع بألباب الميدانيين، و هم فرسان دمشق و حماتها، و أقبل بعضهم على بعض يتساءلون ماذا يصنعون؟ انهم يعلمون أن الشيخ لا يقيم وزنا لأحد من أبناء الدنيا، فلا يبجل[3] سلطاناً لسلطانه، و لا يوقر غنيا لغناه، و لا يقيس الناس بما على جسومهم من ثياب، و لا بما فى صناديقهم من مال، و لا بما يبتزون[4] من اموال الدولة . و لكن يقيسهم بما فى نفوسهم من فضائل، و ما فى قلوبهم من ايمان، و ما فى رؤوسهم من علم، و إذا نظر الناس من خارج فرأوا الطبل سمينا عظيما، نظر هو من داخل فرآه خاليا حقيرا ...

و كانوا يخشون ان يسوء ذلك من شأنه الباشا، و يودون لو رجوا الباشا، و لكن كيف يصلون اليه و هو فى قصره، حوله الحجاب و الأعوان، و الجند بالسلاح، و من حوله الموت ألوانا و أشكالا، يحمى حماه،

---

(١) تقدمت ترجمته فى الجزء الأول (٢) كان عالم الشام قبل طبقة الشيخ محمود الحمزاوى و الشيخ محمد طنطاوى و الشيخ بكر العطار و أصحابهم (٣) لا يوقر.
(٤) يستلبون.

و يحرس ابوابه ... و يتمنون لو رجوا الشيخ، و لكن الشيخ أعز من مائة ملك جبار، تحميه هيبته، و يحرسه تقواه، و تحف به الملائكة واضعة له اجنحتها.

و لم يكونوا يخافون أن ينال الشيخ سوء فهذا شيء تحيله عقولهم لما استقر فيها من إجلال الشيخ و إكباره و لا تراه أبصارهم، لأنهم يقضون عن آخرهم قبل أن تراه أبصارهم و لكنهم كانوا يخشون الشيخ على الباشا، و يخشون الباشا على نفوسهم.

و مضوا يقيمون معالم الزينة، و يبنون أقواس النصر، و يرفعون الرايات على طريق البطل الفاتح، و يقطفون[1] أزهى أزهار الغوطة لينثروها عليه ... فما كان الأصيل[2] حتى تم كل شيء، و أقبل الباشا فى الموكب[3] الفخم، و الجند و السلاح و الدبدبة ... حتى انتهى الى باب المسجد و كان بابا صغيرا، فاعترض الباشا كأنه يقول له: ارجع أو ارجع دنياك، انك تدخل بيت الله بشرا خاضعا، أما أن تكون تزوير إله ... بألف عبد، و ألف ثوب، فلا! إنه لا يجتمع ميراث النبوة التى جاءت بالتوحيد و المساواة، ببقايا الجاهلية التى قامت على الشرك و التمييز بين الناس، إلا محى أحدهما ... فانظر هل محا باطل حقا؟

قال الراوى: و تردد الباشا هنيهة[4] يفكر، ثم أبعد اعوانه و ترجل و دخل المسجد منفردًا، و كان الشيخ جالسا على حصير قد وضعت فوقه حشية و كان مادا رجله فسمعته يقول:

... و المرء إذا خاف الله، و صدق فى مخافته، خافه كل شيء، لأنه

---

(١) يجنون (٢) الوقت بين العصر والمغرب (٣) الجماعة مشاة و ركبانا (٤) ساعة يسيرة.

لا يرى كبيرا إلا صغّره عنده أن الله أكبر . . . الله اكبر . ان لهذه الكلمة سرا إلهيا ، و لكن المسلمين استعجموا فلا يرددون منها إلا حروفها فارغة من المعنى ، و ما فرض الله على المسلم أن يقولها كل يوم (٨٥) مرة[١] أقل ما يقولها و يسمعها من المنارة ثلاثين مرة[٢] . . . إلا ليعلم أنه لا كبير فى الدنيا و أن من كان مع الله لم يبال شيئا : لا الملك و لا المرض و لا الوحش ، فلو أن المسلم عرف معنى هذه الكلمة و هو يقولها ما عرف الذل و لا الجبن و لا الكسل .

قال رجل من طرف الحلقة :

فان قتله الملك يا سيدى الشيخ ، أو أماته المرض ؟

فقال الشيخ : سبحان الله ! و هل يهاب المسلم القتل؟ أو يبغض الموت؟ ان الموت شديد لأنه انقطاع اللذات ، و خسران الدنيا ، و لكنه لا يكون بهذا المعنى إلا عند الكافر الذى يعيش فى الدنيا ، و يستمتع بملاذها ، أما من كان يتهيأ فيها للعيشة الخالدة و يقيم فيها كالمستعد للسفر ، و يرقب ساعته كما يرقب المسافر ساعة القطار ، و يراه حين يمضى ليلقى ربه ، كالآيب الى وطنه حين يذهب ليلقى اهله و صحبه . . . من كان هذا شأنه لا يرى فى الموت موتا ، و إنما يرى فيه ولادة جديدة ، و ابتداء حياة ، و قد حفظنا من مشايخنا : أن أفضل الشهداء رجل يقول كلمة حق عند إمام جائر فيقتله بها . . .

و كان الباشا قد وقف على الحلقة منتفخا ، مصعّرا خده ، شامخا بأنفه ،

---

(١) ان صلى الصلوات المفروضة ١٧ ركعة كل يوم و ذلك ما لا يكون المسلم مسلما إلا به (٢) فى كل اذان ست مرات .

فنظر اليه الشيخ رحمه الله فلم يتغير و لم يبدُ عليه انه رأى فيه أكثر من رجل، و أشار اليه ان اجلس كما كان يفعل بغيره، فلم يتمالك الباشا ان جلس ... و نظر فى الحاضرين يقلب فيهم بصره، يفتش عن شيء أضاعه فيهم عن الخضوع و الاكبار اللذين تعود أن يراهما حوله دائما، ينتظر ان يقوموا له، و أن يقفوا بين يديه صفا، و لم يدر أن القوم كانوا فى غير هذا، لم يدر أن الشيخ قد علا بهم، حتى جعلهم يطلون[1] على الدنيا من شرفة طيارة، او من قطع السحاب فيرون الأرض كلها كمفحص[2] قطاة، و لا يرون فى الباشا العظيم إلا نملة ... فمن ذا الذى يحفل بنملة ...

و أجال الباشا نظره فيهم حتى علق برجل الشيخ، و كانت ممدودة نحوه، فأثار مرآها كبرياؤه و سلطانه، و رأى فيها علامة تعجب أضيفت الى عظمته و جلاله، إضافة سخرية و تهكم و رآها كبيرة فى عينه، فأحس كأنما هى فى عينه، و نظر فى الحاضرين ألم يجرد واحد منهم سيفه يتقرب الى الباشا بقطّها[3] ؟ و كان الباشا ينظر بعين بصره المادية لم تفتح بعد عين بصيرته المعنوية، فيفاضل بين قصره و سريره، و مكان الشيخ و حصيره، و بين جنده و أعوانه، و تلاميذ الشيخ و إخوانه، فيوقن أن دنيا الشيخ كلها لا تثبت لحظة لسيفه الذى لم تثبت له دنيا الخليفة العثمانى (امبراطور الشرق) ... و كان كالأسد الذى زعموا انه مر على قنبلة من القنابل المدمرة[4] ... ملقاة فى أجمته، فعجب منها و حقرها و قال: ويحك اى

---

(١) يشرفون (٢) الموضع الذى تفحص القطاة التراب عنه لتبيض فيه (٣) بقطعها.
(٤) المهلكة.

حيوان انت ؟ يا للضعف و المهانة ! أين الأنياب ؟ اين المخالب ؟ أين . . .
أين . . . ؟ يا للهوان ما ذا يصنع بأهله ؟ قالوا : ثم ركلها[1] برجله ، فانفجرت
القنبلة و انفجرت القنبلة من فم الشيخ فرجع يتكلم .

قال : و من عجيب صنع الله فى الانسان أن خلقه حيوانا كالحيوان ،
و لكنه وضع فيه ملكا و وضع فيه شيطانا ، فمن كان همّه من دنياه لذتا
بطنه و فرجه ، و ابتغاهما من حل و لم يعرف غيرهما لم يكن فيه إلا الحيوان ،
فهو يرتع كما يرتع الحمار ، و يتبع غريزته كما يتبع ، و من كان همه اللذة
من حل و حرمة و من كان لا يبالى ما اجترح من السيئات لم يكن فيه
إلا الشيطان ، و كان العقرب و الخنفساء[2] خيرا منه ، لأن مصيرهما الى التراب
و مصيره الى النار . و من كان همه أن يعيش فى هذه الحياة كما يعيش
فى مدرسة يتلقى فيها أساليب الكمال ، ليعيش من بعد فى أساليب الكمال ،
فهو الانسان حقا . . .

و من عجيب صنع الله فى الانسان أنه وضع فى نفسه الملَك ، فلا يحتاج
مهما كان ضالا فاسقا ظالما إلا الى تنبيه الملك فى نفسه ، ليطرد الانسان ،
و يقود الحيوان ، فلست انت الذى يعظه و لكنه يعظ حينئذ نفسه ، و هذا
معنى قولهم :

لا تنتهى إلا النفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر

و ذلك ثوابه فى الجنة ، و الجنة لا تكون بالتشهى و الأمل ، و لكن
بالجد و العمل . و لو أن تلميذا أمضى عامه فى لعبه و لهوه ، ثم تمنى النجاح ،

---

(١) ضربها برجله (٢) دويبة سوداء أصغر من الجُعَل كريهة الرائحة .

أكان

أكان ينجح؟ و لو أن صيادا ألقى بندقيته فلم يضرب بها و رمى شبكته[1] فلم ينصبها، ثم حلم بالقنيصة، أكانت أحلامه تعدو فى أثر الغزال حتى تأتى به مكتوفا؟ أم كانت السمكة تأتيه وحدها و على ظهرها الملح و الفلفل تقول له : كُلنى؟

قال رجل: و لكن القلوب قست يا سيدى الشيخ! فما علاجها؟

قال: ان الشيطان لا يأتى إلا من إشعاره الكمال، فاشعر نفسك النقص، و ذكرها فى الصحة المرض، و فى الحياة الموت، و لقد أدركنا من مشايخنا اذا قسا قلبه أمّ المستشفى أو قصد المقبرة، نخوف نفسه المرض و ذكرها الموت. و المؤمن لا يزال بخير ما زال بين الخوف و الرجاء، فان لم يخف أو لم يرج فقد هوى ... و لقد سمعنا أن منهم من كان يدنى يده من المصباح و يقول: يا نفس! إن لم تصبرى على هذا فكيف ويحك تصبرين على نار جهنم؟ و إن المؤمن ما ثارت فى نفسه شهوة إلا أطفأها بأنهار الجنة، او أحرقها بنار جهنم فاستراح منها ...

و ما الانسان لو لا العقل؟ و كيف يكون العقل ان لم يكن معه الايمان؟ انه لا يكون اذن إلا كما قالوا: أوله نطفة مذرة[2]، و آخره جيفة قذرة و إن للسلطان لسكرة فمن اسكره سلطانه و عزته على الناس، فليذكر هوانه على الله، و أن الله أهلك أشد الملوك: النمرود، بأضعف الخلق: البعوض.

فيا من أصله من التراب، و لا تنس أن نهايتك الى التراب.

و كان الباشا يشعر و الشيخ يتكلم، كأنه كان محبوسا فى صندوق،

---

(١) شركة الصياد (٢) أى خبيثة و فاسدة.

ثم فتح عينيه فتشق[١] الهواء الطلق[٢]، أو كأنه كان فى ظلمة فاحمة[٣]، فطلع الشيخ عليه شمسا نيرة فتضاءل[٤] حتى جلس على ركبتيه، و رأى نفسه دون هؤلاء كلهم، لأنهم ألصق منه بالشيخ و أدنى اليه، و لم يعد يزعجه مرأى الشيخ و هو ماد رجله ... بل كان يراه الغريق و يراها خشبة النجاة و كان يبصرها عاليه كجناح النسر المحلق[٥]، ثم لم يعد يرى فيها شيئا، لقد استحال الشيخ فى نظره الى فكرة ... لم يعد يرى فيه إلا الحقيقة تمثلت انسانا.

قال الراوى: فلما ذهب الباشا، بعث الى الشيخ بكيس فيه ألف دينار من الذهب العين. فلما جاءه به الرسول و ألقاه بين يديه تبسم الشيخ رحمه الله و رده اليه، و قال له: سلم على سيدك و قل له: ان من يمد رجله لا يمد يده ...[٦]

---

(١) شم (٢) اى صاف خال عن الغبار (٣) السوداء اى الشديدة (٤) صغر و ضعف.
(٥) الذى يرتفع فى طيرانه و يستدير كالحلقة (٦) قصص من التاريخ

[illegible]

فهرس المختارات

الجزء الثانى

المترجمون فى الكتاب

المترجم	الصفحة
السيد مصطفى صادق الرافعى	١١٩
محمد كرد على	١٣٦
الأستاذ عباس محمود عقاد	١٤٠
الأستاذ احمد حسن الزيات	١٤٧
الأستاذ سيد قطب	٢٥١
الأستاذ على الطنطاوى	١٥٨